الفصل الخامس

الآخـــــــر

obeikandi.com

عن طريق «الآخر» يتم تحديد «الأنا»؛ لذلك قام المفكرون في كل حضارة وأمة بدراسة الآخرين وثقافاتهم وحضاراتهم. وكان حتماً على المفكرين العرب، في ظل وضعية التأخر التي تعانيها الأمة العربية، دراسة الآخرين وحضاراتهم، للتوصل إلى معرفة الذات، والاستفادة من الآخرين في بناء الحضارة العربية بشكل متين.

تحدّث المفكرون العرب عن «الحضارة الغربية» على وجه الخصوص، نظراً لكونها الحضارة السائدة والغالبة حالياً، ولأثرها الحضاري المهم الذي أحدثته، وما زالت تُحدثه، على العرب. فورد لديهم ذكر للمقومات والأسس والمبادئ التي قامت عليها الحضارة الغربية، مع تمييز إيجابيات ذلك من سلبياته، وأثرها على البناء الحضاري العربي. وأشاروا للمراحل التي مرّت بها علاقة العرب بالغرب، وللمواقف التي اتخذها المفكرون والتيارات والاتجاهات العربية من الغرب. وكان لا بدّ أن يتكلموا عن اللحظات العنيفة التي احتك بها الغرب بالعرب من خلال «الاستعمار» و«الصهيونية» (ابنة الغرب) ومشروعها وكيانها، وعن الأثر الذي أحدثاه، وما زالا، على بناء الحضارة العربية. ولم ينسوا أن يذكروا اللحظات السلمية التي احتك بها العرب بالآخرين وبحضاراتهم (والغرب وحضارته على الخصوص) عبر «التفاعل الثقافي والحضاري» مع الثقافات والحضارات الأخرى؛ وأثر ذلك التفاعل على البناء الحضاري العربي خصوصاً. وبما أن التفاعل الحضاري أو المثاقفة هو نوع من أنواع «التحدي» الذي تواجهه الحضارة، فقد تحدث أولئك المفكرون عن الأثر الحضاري للتحديات والأزمات التي تصيب الأمم، وعن التحديات التي تواجه الأمة العربية، والأثر الذي يمكنها أن تحدثه على الحضارة العربية. فهذه الأمور هي ما سيتناولها هذا الفصل.

أولاً: الحضارة الغربية بين المكونات والإيجابيات والسلبيات

يُنظر للنموذج المعرفي الغربي الحديث على أنه نموذج عقلاني نفعي مادي لا وجود للأخلاق فيه[1]، وأنه مُعادٍ للإنسان، ويعاني من أزمات عديدة يشهد بها وينبّه لها المفكرون الغربيون أنفسهم. وقد تولّد عن هذا النموذج فكر غربي احتجاجي، مُضادّ وعدمي، ونماذج انحرافية كالنازية. فالحضارة الغربية، حضارة خاصة وليست عامة؛ أي أنها لا تصلح للجميع[2]. والركيزة الأساسية للمنظومة المعرفية (المادية) الغربية الحديثة هو مفهوم التقدم، إذ أنه الغاية والمرجعية النهائية لتلك الحضارة. ويستند هذا المفهوم، في المنظومة الغربية، إلى منطلقات محددة، ويتسم بسمات واضحة؛ منها: استناده للطبيعة لا للمادة؛ لأنه عملية حتمية تتم رغم إرادة الأفراد وخارجها ولا يمكن لأحد إيقافها؛ فالتقدم عملية عالمية خطية ذات اتجاه واحد، تتم في كل زمان ومكان، وفي جميع المجتمعات، حسب مراحل متتالية واحدة. وهذا المفهوم، يفترض وجود تاريخ إنساني واحد؛ وأن ما يصلح لتشكيل حضاري وتاريخي ما إنما يصلح لكل التشكيلات الأخرى. ويفترض أيضاً، أن «المجتمعات الغربية» هي ذروة عملية التقدم التطورية العالمية، ومن ثم فهي النموذج الذي ينبغي احتذائه.

ومن الأمور التي يتم فيها نقد مفهوم «التقدم» الغربي: أن عملية التقدم ليس لها غائية إنسانية محددة أو مضمون أخلاقي محدد، فالتقدم في المفهوم الغربي (المادي) عملية حركية تعني الانتقال دون تحديد الهدف من الحركة، وبذلك يصبح التقدم بلا مرجعية أو يصبح مرجعية ذاته، ومن ثم يصبح هو الوسيلة والغاية؛ أي أن التقدم يتم إحرازه من أجل إحراز مزيد من التقدم (وهي عملية «لانهائية»)، كما أن هناك تحيّز كامل للرؤية المادية كامن في مفهوم التقدم الغربي؛ ومعيار التقدم في هذا المفهوم هو زيادة المنفعة وتعظيم اللذة لأكبر عدد ممكن من البشر، لذا، فالتقدم لا يكترث بالخصوصيات التقليدية (الدينية والإثنية والأخلاقية)، ومقاييس التقدم عادة، مقاييس مادية مثل عدد الهواتف ونسبة البروتين وعدد السيارات[3].

---

(1) المسيري، عبد الوهاب. **إشكالية التحيز**، موضوع: «فقه التحيز»، ج1، ص47.

(2) المرجع السابق، ص74 ـ 86.

(3) المرجع السابق، ص60 ـ 62. وبالنسبة لبعض القيم المادية لمفهوم التقدم الغربي انظر: ص66 ـ 67.

ومن الانتقادات الموجهة للنموذج المعرفي (المادي) الغربي أنه أنتج إفرازات خطيرة في المرحلة الأخيرة أخطرها ««الحضارة المادية العالمية الجديدة»، وهي حضارة قد تكون أصولها غربية (أو أمريكية)، ولكن أشكالها «محايدة»، بمعنى أنها عديمة الانتماء واللون والطعم والرائحة، وتهدف إلى الإفصاح عن الإنسان الطبيعي (والطبيعية/المادية). وهذه الحضارة شبه العالمية لها منتجاتها الحضارية المحددة مثل (الهامبورغر) [...]. وهناك بنطلون (البلوجينز) [...]. وهناك كذلك (التيشيرت) [...]. وتعود خطورة هذه الحضارة، إلى أنها تتوجه إلى شيء كامن في الإنسان، وهي رغبته الطفولية في فقدان الحدود والهوية، والتحرك خارج جميع المنظومات إلا المنظومة الطبيعية المادية [...]. وهذه الحضارة الاستهلاكية الجديدة ليست معادية للحضارات الشرقية وحسب، وإنما معادية للحضارة الغربية ذاتها، ولأي أشكال حضارية إنسانية تتجاوز سطح المادة وتتعالى على الطبيعة وتفلت من قبضة الصيرورة»[1].

من الأمور الخطيرة التي اتسمت بها الحضارة الغربية (الأوروبية) أنها وضعت لنفسها هدف السيطرة على العالم وإخضاعه لسلطانها، والذي نتج عنه مصير العلوم والتقنيات للتطور في مجالات محددة تطوراً هائلاً، وتراجعها في مجالات أخرى تراجعاً شديداً؛ كما هدفت إلى خدمة الأقلية المتسلطة دائماً، سواء أكانت تلك الأقليّة عبارة عن بعض قوى كبرى في المجال العالمي، أم كانت داخل القوى الكبرى أقليّة في المجال الشعبي العالمي، لذلك كان الاتجاه للتطور العلمي والتقني، لخدمة أقليّة، لا لخدمة المجموع الإنساني العام. واتجهت هذه الحضارة إلى ركض مسعور لتطوير البضائع الاستهلاكية باتجاهات حكمتها عمليات المنافسة والربح، لا عمليات الضرورات الاستهلاكية الأساسية للناس جميعاً.

كما أن هذه الحضارة لم تتكامل مع الطبيعة والبيئة والإنسان، إذ إن الطريق الذي سارت عليه لتحقيق التطور العلمي والتقني إنما اتجه نحو التضاد مع الطبيعة والبيئة والحاجات الفطرية للإنسان، مما هدّد موارد طبيعية وحيوانية عديدة بالنفاذ، وأضرّ بالبيئة فلوّثها وأنهكها وأخلّ بتوازنها، ووضع الكائن البشري في ظروف سكنية ومعيشية وصحية تتناقض مع روحه وصحته ونفسيته وفطرته ونموه العام؛

(1) المرجع السابق، ص69 ـ 70.

وكل ذلك بسبب تحقيق الربح والاستهلاك المادي[1]، إذ إن القانون الذي يحكم هذه الحضارة هو الشراهة في التوسع، والنهب، وحشد الثروات، وتحقيق أقصى درجات الرفاه المادي، ولو بسحق الآخرين دون رحمة.

من هنا، فالحضارة الغربية تعاني نقاط ضعف خطيرة: فالتطور العام فيها غير متوازن بالنسبة إلى مختلف المجالات، إذ ارتفع في المجالات المادية، ونقص على مستويات العلاقات الإنسانية والأخلاقية، مما سيؤدي في النهاية إلى الإسراع بسقوطها؛ لأن حالها يصبح كحال الذي يقف على قدم واحدة. كما أن الهوة اتسعت بين أصحاب تلك الحضارة وبين الغالبية العظمى من شعوب العالم، مما دفع بها إلى مواجهة قوى لا قبل لها عليها؛ فالتضادّ مع حقوق غالبية الشعوب ومصالحها، يؤدي إلى انهيار تلك الحضارة مهما طال الزمن.

كذلك فالتآكل الداخلي يشكل سمة أساسية مميزة لمجتمعات هذه الحضارة، إضافة إلى إطلاقها الغرائز والنزعات البهيمية، وانتشار الفساد والانحلال في أرجائها، والذي قد يصل إلى ضعف داخلي شديد، يجعلها غير قادرة حتى على الإفادة من قوتها المادية. ومن الإنصاف الاعتراف بأن الحضارة الغربية لديها إيجابيات ونقاط قوة، ونقطة القوة الأولى فيها هي حيويتها ونشاطها. وإن كان يُعتبر السعي لامتلاك القوة نقطة القوة الرئيسية لها، إلا أن هذا السعي قد يكون نقطة الضعف الأساسية في نفس الوقت، إذ قد يؤدي في نهاية المطاف لتدمير الحضارة الغربية نفسها، إن لم يُعرّض مستقبل الإنسانية كلها للإبادة الجماعية[2].

معيار التقدم في الغرب هو كل ما يخدم تطور قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، أو يخدم تطور العلوم والقوى المادية والثراء، أو امتلاك القوة العسكرية. فالمقصود بالتقدم في الغرب: التقدم المادي فقط؛ وبذلك يصبح معيار التقدم العقدي والأخلاقي خاضعاً للتقدم المادي/ التقني/ الإنتاجي. فمصطلحات مثل الحق والعدل والظلم والضلال، لا قيمة لها إلا إذا أسهمت في التقدم المادي؛ فالانحطاط الأخلاقي يصبح تقدماً إذا كان يخدم تطوير القوى الإنتاجية، والظلم يصبح عملاً

(1) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. مرجع سابق، ص26 ـ 27.

(2) المرجع السابق، ص35 ـ 39.

مشروعاً إذا كان يستهدف الرقي المادي. فنظريات الغرب قامت بربط التقدم بتطوير العلوم والتقنيات وأدوات الإنتاج فقط[1].

وإذا جرت مقارنة ما بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، يمكن القول إن «مراجعة معمّقة للأساسات التي قامت عليها كل من عائلة الحضارة الإسلامية، وعائلة الحضارة الأوروبية، لا تترك مجالاً للشك في أن لكل منهما طريقاً مختلفاً، وسياقاً خاصاً. فهما لا تلتقيان إلا لتتبارزا وتنفي إحداهما الأخرى»[2]. كما أن الإسلام مشروع بديل متألق للظلام الذي تنشره الحضارة الغربية[3]؛ والإسلام والحداثة الغربية متضادان[4]، لذلك فالمشروع الإسلامي مشروع نقيض للمشروع الحضاري الغربي[5]، ذلك أن الحضارة الأوروبية المعاصرة قامت على قاعدتين أساسيتين: الأولى قاعدة العنف، والثانية نهب ثروات الشعوب. والعالم في ظل سيادة هذه الحضارة وقيمها سيتحول من انحطاط لآخر[6]. وهذه السيطرة العالمية للحضارة الغربية «ليست مجرد سيطرة علمية أو حضارية، وإنما هي معززة بالقهر العسكري والضغط المادي والإلحاق الاقتصادي والسياسي»[7].

هناك من يحذّر من أن «الغرب غير مستعد للتعايش مع حضارات أو ثقافات، غير الثقافة الغربية. وما يهمه هو مصالحه، التي يضطر، كما يحدث اليوم، إلى حمايتها ولو بالتدمير والعنف»[8]. ومن سلبيات الحضارة الغربية أن العلم والتكنولوجيا لديها «مبنيان على المادة، دون أي اهتمام بالجانب الإنساني أو الأخلاقي. ويبدو التركيز واضحاً على ما يُسمى بالتنمية الصناعية الوحشية، مما نتج عنه تلوث، ليس فقط التلوث البيئي، وإنما التلوث الحضاري فيما يخص القيم. فقد أُعطيت الأولوية للمادة على حساب القيم، وصارت هذه المادة هي التي

---

(1) المرجع السابق، ص131 ـ 133.
(2) المرجع السابق، ص32 ـ 33.
(3) المرجع السابق، ص52.
(4) المرجع السابق، ص82.
(5) المرجع السابق، ص115.
(6) شفيق، منير. **الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر**. مرجع سابق، ص163 ـ 170.
(7) شفيق، منير. **قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري**. مرجع سابق، ص75.
(8) المنجرة، المهدي. **الحرب الحضارية الأولى**. مرجع سابق، ص114.

obeikandl.com

تتحكم في العلم وفي المجتمع وفي التكنولوجيا»[1]. كما يمتاز الغرب بالعجرفة الحضارية والثقافية، «نظراً لما حققه من رقي وتقدم تكنولوجي، الأمر الذي جعله يشعر بأنه القوي دائماً»[2]. وهذه السلبيات كلها، ستجرّ الغرب إلى انهيار قريب، إضافة إلى أنه قام كذلك بتدمير قيمه الحضارية وعناصره الثقافية التي كانت تزخر بها مجتمعاته، واستبدلها بمؤثرات الإيديولوجيا المادية[3].

يعتقد الأوروبيون أن الحضارات لا بدّ أن تتوحّد ضمن حضارة واحدة، وهذه الحضارة لن تكون إلا الحضارة الأوروبية المتقدمة التي ستبقى للأبد[4]، إذ هي الحضارة الإنسانية؛ ولذلك جعلوا الشعوب الأخرى مسرحاً لاستعمارهم واحتلالهم. وعلى الرغم من تفوقهم الحضاري والعلمي والفني والتقني، فهم لم يسعوا إلى نشر حضارتهم وتوسيع مداها على الكرة الأرضية، وإنما إعلان سيادتها وتفوقها فقط؛ واعتبروا أنفسهم المتحضرين الوحيدين، وما عداهم أقوام بدائية متخلّفة يجب أن يكونوا خدماً وأتباعاً لهم. وهذه القومية الأوروبية الضيقة، والرغبة في الاحتكار، هي داء أوروبا، وهي إحدى مظاهر عدم التحضر، والذي أفضى بأوروبا إلى حروب طاحنة[5]. وقد أدى استعمار الغرب للآخرين إلى نمو العنصرية في الحضارة الغربية والتي هي إحدى مقاتلها. وهذه النظرة من لدن الغرب لسكان الجنوب، ولغيرهم من غير الغربيين، بأنهم متخلفون ولا يمكن أن يرقوا لسكان الشمال المتقدمين، لا تزال مستمرة لحدّ الآن[6]. والغرب يعمل على رفع شعار ومفهوم «الحضارة العالمية» لا لتسود العالم قيم الحرية والعدل والمساواة، بل

---

(1) المرجع السابق، ص125.

(2) المرجع السابق، ص302.

(3) المنجرة، المهدي. **حوار التواصل**. مرجع سابق، ص72.
الخطيب، سليمان. **فلسفة الحضارة**. مرجع سابق، ص74 ـ 75، ص191.

(4) غلاب، عبد الكريم. **من اللغة إلى الفكر**. مرجع سابق، ص142 ـ 145.

(5) المرجع السابق، ص154 ـ 157.

(6) المرجع السابق، ص210 ـ 211.
ملكاوي، ثابت. **إشكالية العقل العربي بين الذات والآخر**. مرجع سابق، ص14 وما بعدها.
خزندار، عابد. **حديث الحداثة**. مرجع سابق، ص39.
الميلاد، زكي. «انبعاث الحضارات بين خيار التصادم والتعايش»، **مجلة الكلمة**. عدد 12، ص56.

obeikandl.com

ليربط العالم بمركزيته الأوروبية بأشكال غير منتهية من التبعيات المادية والثقافية[1].

الحضارة الغربية فشلت في حلّ مشاكل الإنسان أو مشاكل الأرض[2]. ومن مظاهر فشلها: التمزق الإيديولوجي الذي لم يقتصر على التطاحن السياسي بل أدى للمواجهة العسكرية، وتصنيع أسلحة الدمار وبيعها للدول الأخرى (الفقيرة)، وخلق المبررات والفتن لاستعمالها، والفشل في علاج انقسام العالم إلى أغنياء وفقراء، والفشل في علاج البطالة حتى في دولها المتقدمة، والانحلال الاجتماعي الذي يعانيه العالم، واستلاب خاصية التفكير من الإنسان وإعطائها للآلة، وانتشار القلق والمخدرات. وسبب أزمة هذه الحضارة ليس الفكر، بل مطامح الإنسان ومطامعه[3]، ومما يكرّس أزمتها أن سيل الأدبيات الحضارية مثل حقوق الإنسان والأمم المتحدة ومجلس الأمن ونهاية الاستعمار إنما يتم وضعها لخدمة الاستعمار الجديد[4]. فـ«حضارة القلق» إذن هي طابع العصر[5].

لعلّ خطورة الغرب تكمن في كونه ليس مجرد أساليب حياتية في الطعام والشراب والملبس والمسكن، بل وتصوّر للحياة والكون والإنسان وموقف حضاري عام ونسق للقيم[6]. وينبغي الانتباه إلى أن الغرب والوعي الأوروبي يعانيان من عدة ظواهر، مثل ظهور فلسفات العدم التي تُعبّر عن أزمة أعم هي إفلاس المشروع الغربي بأكمله[7]. كما أن الطابع المادي الآلي والتقني هو الطاغي على الحضارة الغربية المعاصرة، وقد زاحم هذا الطابع الجانب الروحي، وكاد يقضي عليه؛ وهنا تكمن خطورة هذه الحضارة على العالم[8]. لكن، ومع ذلك، فالغرب وفكره يقوم على نقاط إيجابية، منها: التاريخانية التي تجعل العقل حاضراً في

---

(1) ملكاوي، ثابت. **إشكالية العقل العربي بين الذات والآخر**. مرجع سابق، ص29 ـ 32.

(2) المرجع السابق، ص159.

(3) المرجع السابق، ص161 ـ 167.

(4) المرجع السابق، ص157.

(5) المرجع السابق، ص193 ـ 194.

(6) حنفي، حسن. **مقدمة في علم الاستغراب**. مرجع سابق، ص74.

(7) المرجع السابق، ص506 ـ 513.

(8) خبيزة، محمد يعقوبي. ندوة: «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي»، موضوع: «حلّ الشريعة الإسلامية لأزمة الإنسان الحضارية»، ج2، ص45. =

التاريخ، ينظّمه على صعيد الوعي، ويحركه على صعيد الممارسة؛ والعقلانية التي تجعل التاريخ حاضراً في العقل، تلهمه الدروس والعبر، وتحمله من حين لآخر على مراجعة تصوراته وفحص مبادئه وطريقة إنتاجه[1].

من سلبيات الحضارة الغربية ارتكازها للّون والعرق والقوم، وكونها حضارة عنصرية وعدوانية بطبيعتها وأصل تكوينها، ولا تستطيع أن تعيش دون عدو؛ فإن لم يوجد لها عدو فإنها تصنع لنفسها عدواً وهميّاً لتوجّه أنظار شعوبها للخارج من أجل معالجة مشاكلها الداخلية. ففكرة الصراع الحضاري أو التحدي الحضاري أو صراع البقاء للأقوى أو الصراع الطبقي هي الأساس الذي تقوم عليه تلك الحضارة؛ والصراع هنا لا يعني إلا محاولة إلغاء الآخر بشتى الأساليب والوسائل. والطبيعة العدوانية لهذه الحضارة يجعلها تنظر للآخرين نظرة دونيّة، وتحاول أن تصرعهم وتتغلب عليهم. وقد كانت معظم الأنظمة الفاشية والنازية والديكتاتورية ومؤسسات الاستبداد السياسي من إفرازاتها. «حضارة الغرب» هي حضارة قوة وصراع، وتسلّط الإنسان على الإنسان، وحضارة جباية وحقد وعدوان[2]. لذلك هناك اعتقاد بأن الحضارة الإنسانية البديلة عن الحضارة الغربية هي الحضارة الإسلامية، بما تمتلكه من قيم سماوية[3]، فهي «في حقيقتها، وتاريخها، ونواتجها، حضارة إنسانية، لا تخص جنساً، أو لوناً، أو عرقاً، أو منطقة جغرافية، أو طبقة اجتماعية»[4]، إنها

= قدّور، يوسف. «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي في ضوء واقع المعاصر»، ص81 ـ 82.
النجار، عبد المجيد. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «النهضة الإسلامية: العوائق والعوامل»، ص434.
الجابري، محمد عابد. **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص145.
الكيلاني، ماجد عرسان. **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**. مرجع سابق، ص88.
الفاعوري، داود. «مكانة الإنسان في الحضارة المادية المعاصرة من وجهة نظر العقيدة الإسلامية»، **مجلة دراسات**. المجلد العشرون (أ) الملحق السلسلة (أ) العلوم الإنسانية، ص184.
محمود، فؤاد السعيد. «إشكالية الغزو الثقافي في المجلات الإسلامية»، **مجلة رسالة الجهاد**. عدد 100، ص161.

(1) الجابري، محمد عابد. **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص36.
(2) القديدي، أحمد. **الإسلام وصراع الحضارات**. مرجع سابق، ص30 ـ 33.
(3) المرجع السابق، ص42.
(4) المرجع السابق، ص29.

«حضارة رحمة، وحب، وهداية، واحتساب، واعتراف بالآخر [. . .] هي حضارة الإنسان، التي تدعو إلى الحوار على كلمة سواء [. . .].

الحضارة الإسلامية، هضمت الكثير من الموجات، والاجتياحات الاستعمارية العدوانية. وانتهى الغالب إلى اعتناق حضارة المغلوب، وهذا ما لا نراه إلا في تاريخ الحضارة الإسلامية؛ لأنها حضارة الفطرة، حضارة الإنسان»[1]. «الحضارة الإسلامية» هي التي سلّمت مشعل العلوم إلى أوروبا لكي تقوم بنهضتها العلمية[2]، وهي تقوم على تسخير الوسائل من أجل الغايات؛ في حين أن الحضارة الغربية تقوم على تسخير الوسائل لمضاعفة الوسائل بلا غايات[3]. بل إن هنالك من يعتقد بأن أوروبا استمدت نهضتها من الحضارة العربية والإسلامية، حيث إن الحضارة الإسلامية هي التي أعطت أوروبا المنهج العلمي التجريبي الذي قامت على أساسه[4].

الحضارة الغربية تعاني أزمات وأمراض حضارية عديدة؛ إذ أنها «اليوم، بشهادة العقلاء وأصحاب البصيرة، تقف كالطائر الذي يرفّ بجناح واحد جبار، بينما جناحه الآخر مهيض. فيرتقي في الإبداع المادي، بقدر ما يرتكس في الشعور الإنساني. ويعاني من أمراض الحضارة، ومن النهم والجشع والحيرة»[5]. أما حضارة الإسلام فهي «حضارة إنسانية، جاءت لإسعاد الإنسان وأمنه وسلامته. حضارة نفس تحررت من الظلم والأثرة، وتآخت بالحب والإيثار»[6]. وقد قامت الحضارة الإسلامية بعملية توفيق ما بين الحكمة والشريعة، لكن الحضارة الغربية تميزت بإخراج الدين من إطار العقل، وإخراج الدنيا والدولة وعلوم التمدن من إطار الدين؛ الحضارة الإسلامية ربطت بين الدين والدولة، والحاكم والمحكوم،

---

(1) المرجع السابق، ص33 ـ 34.

(2) المرجع السابق، ص88.

(3) المرجع السابق، ص104.

(4) الخطيب، سليمان. **فلسفة الحضارة**. مرجع سابق، ص225 ـ 230.

الهاشمي، علال. «مساهمة العرب في تقدم الحضارة الإنسانية»، **مجلة جامعة مولاي إسماعيل**. عدد 6 (1992م). مكناس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص156 ـ 158.

(5) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (2)**. مرجع سابق، ص227.

(6) المرجع السابق، ص52، ص54، ص134 ـ 135.

أما الحضارة الغربية ففصلت بين الدين والدولة في خصوصية حضارية، فكانت العلمانية؛ الحضارة الإسلامية وقفت بين الفرد والمجموع في ربط متناسق، أما الحضارة الغربية فقد انحازت للفرد في «ليبرالية» واضحة؛ الحضارة الإسلامية ربطت الأعمال بالحكمة، والوسائل بأخلاقيات الغايات المبتغاة من ورائها، أما الحضارة الغربية فكان اهتمامها قائماً على اللذة والشهوة واللحظة، وفن الممكن من الواقع بصرف النظر عن الأخلاق[1].

الحضارة الإسلامية تعني عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها، إنسانياً وخلقياً وعملياً وأدبياً وفنياً واجتماعياً، وفق منهج الله وشريعته، وهي تمتاز بانفتاح حدودها الفكرية والنفسية والمادية[2]. الحضارة الغربية، في الأساس، حضارة صناعية تقنية، فاقدة للتقوى، وتحولت إلى حضارة استكبارية باطشة وتركت الجدال بالحسنى وجاءت للناس على متن المقاتلات؛ أما حضارة الإسلام فتقوم على الجمع بين التقوى والتقنية، دون تعارض أو تنافر. والحضارة الغربية تقوم على تمجيد العقل والاعتماد عليه وحده؛ بينما تقوم الحضارة الإسلامية على التوفيق بين العقل والوحي، فليس فيها خصام أو فصام بين الدين والعلم، كما كان في أوروبا، كما أنها تقوم على السلام العالمي والأمن الداخلي[3].

فالفرق بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات، أنها آخر حضارة قامت باسم الله، وأثبتت أن الاستمدادات الإنسانية كلها منه، وأن مبدأ الإنسان منه، ومنتهاه إليه؛ بينما الحضارة الحديثة انطلقت باسم الإنسان، وسارت بهدي العقل، ونظمت قوانينها على الأساس الوضعي. فروح الحضارتين متباينتين كل التباين، وطابعهما مختلف[4]. لكن الحاجة ملحة للتعاون بين الحضارتين (الإسلامية والغربية) لتحقيق السعادة للبشرية[5].

---

(1) السايح، أحمد عبد الرحيم. **في الغزو الفكري**. مرجع سابق، ص127.

(2) السائح، أحمد عبد الرحيم. «الإسلام والحضارة»، **مجلة الإنسان**. العدد الثالث عشر، ص72 ـ 73.

(3) الإمام، أحمد علي. **المستقبل للإسلام**. ص45.

(4) القادري، أبو بكر. «المجتمع الإسلامي في مواجهة التحديات الحضارية الحديثة»، **مجلة الأكاديمية**. عدد 7، ص141.

(5) المرجع السابق، ص145.

ينظر البعض للإنسان المتحضر في الغرب على أنه «لم يبق له من الحضارة غير آلات الحديد المتراكم التي ستفترسه يوماً ما»[1]. لكن الإنسان الغربي ليس في انحطاط كامل، إذ توجد دلائل على وجود الرقي عنده، و«من أكبر الدلائل على رقي الغرب، وأعنى بالغرب هنا: الحضارة الحديثة كلها في أوروبا وروسيا وأميركا، أنه يسمح لمفكريه بالتحدث عن مظاهر انحطاطه بصراحة ودون تستر ومواربة، ليعرف نقاط ضعفه ويشخص علله فيعالجها ويتداركها... ولهذا استطاع الغرب أن يواصل تقدمه.. لأن ذهنيته تمتلك القدرة على نقد الذات، وعلى تجاوز الذات، وعلى مواجهة الذات، وتسمح بالصوت الآخر.. الصوت المعارض يخرج صريحاً وبشكل صحي، فيحقق جسم الحضارة تنفسه السليم [...] ولا يصل الغرب إلى الانحطاط»[2]. فالحضارة الغربية، على الرغم من كل إصاباتها وسلبياتها، «تحاول أن تكتشف أخطاءها بنفسها، وتعالج نفسها بنفسها، وإن صيحات التحذير التي تبين الانحراف، وتحذر منه، لا تتوقف؛ وأن دراسة الظواهر الاجتماعية، والتوجهات المجتمعية في مراكز البحوث، وإصدار الدراسات التي تحاول معالجة الخطأ، وتسديد المسيرة، مستمرة ودائبة، بل هي اليوم جزء من جسم الأمة»[3].

ومن الجوانب الإيجابية في الحضارة الغربية أن نهضتها كانت نهضة عقلية ـ إنسانية، ولم تكن مجرد أخذ للعلوم الطبيعية أو الرياضيات[4]؛ كما أن العلم وتطبيقاته التكنولوجية، من الأمور المهمة والايجابية في هذه الحضارة، إضافة إلى حسن الإدارة والتنظيم لشؤون الحياة، والعناية بحرية الإنسان وحقوقه[5]. ومن الأمور الهامة لدى الحضارة الغربية المعاصرة هو ارتكازها على ثورة في

(1) الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة**. مرجع سابق، ص317.

(2) المرجع السابق، ص320 ـ 321.

(3) العمري، أكرم ضياء. المقدمة: حسنه، عمر عبيد. **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**. ج1، ص19.

(4) شلبي، حلمي. «جذور أزمة العقل العربي»، **جريدة القدس العربي**، عدد 1363 (الاثنين 4/ 10/ 1993م) ص11، عمود 2.

(5) القرضاوي، يوسف. «الإسلام يتمثل في أمة»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5930 (الأربعاء 22/ 2/ 1995م) ص16.

المعلومات، والقدرة على فهم فيض المعلومات المتدفق وحسن توظيفها، واعتمادها على عقل الإنسان[1]، واتسامها بسرعة التغير، وأن الانتصار فيها للأقدر على الإبداع الأكثر جدية[2].

الحضارة الغربية «في جملتها، حضارة مادة، وهوس سرعة وتوتر وضجيج، فلا عجب أن اقترنت هذه الحضارة باعتلال الصحة النفسية، واختلال الصحة الخلقية، وذيوع الاضطرابات العقلية، وكثرة الجريمة والانتحار، وذيوع المخدرات والطلاق، وانتشار (الإيدز) والشذوذ الجنسي»[3]. لذا، فإن «الحلّ الوحيد لإفلاس الحضارة الغربية، والعلاج الأمثل لضلال الشباب وحيرة الإنسانية، هو أن تتحول القيادة من أوروبا وأميركا وروسيا إلى العالم الإسلامي الذي يقوده محمد ﷺ برسالته الخالدة. إن هذا التحول، سوف يغيّر وجه التاريخ، ويحوّل مجرى الحياة وينقذ العالم المنكوب من الساعة الرهيبة التي ترقبه»[4]. وقيام الحضارة الغربية على أساس مادي صرف، لا تحتل فيه القيم الأخلاقية أي حيز يُذكر، جعل من النموذج الغربي غير صالح للحكم على أية أمة بالتخلف أو التقدم، والمعيار الذي ينبغي اعتماده هو النموذج الإسلامي المتكامل الذي تجسد على أرض الواقع ردحاً من الزمان[5].

من هنا، يرد تحذير بعض المفكرين من الحضارة الغربية، من خلال استقرائهم للتاريخ؛ إذ عندما صاغ العرب والمسلمون حياتهم على النمط الحضاري الغربي، أدى ذلك بهم إلى انتكاسات وطنية وانهيارات حضارية. بل الحضارة الغربية نفسها صاحبة ذلك النمط، تأكل نفسها وتعاني أمراضاً نفسية وعصبية واجتماعية وسياسية واقتصادية خطيرة جداً[6]. لذا، تأتي الدعوة لضرورة مراعاة

---

(1) جلال، شوقي. **التراث والتاريخ**. مرجع سابق، ص32.

(2) المرجع السابق، ص168 ـ 169.

(3) عثمان، أمين محمد. «لا بدّ من قيادة إسلامية للحضارة العالمية»، **مجلة الوعي الإسلامي**. عدد 321، ص58.

(4) المرجع السابق، ص65.

(5) بن مسعود، عبد المجيد. «أزمة القيم وإشكالية التخلف الحضاري»، **مجلة المنعطف**. عدد مزدوج 3، 4 (1992م) ص42.

(6) فتاح، حميد. **الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة تحدياته**. مرجع سابق، ص28.

الشخصية الحضارية للأمة؛ لأن كل التجارب والبدائل التي هوت بالأمة إنما كانت نتيجة لمخالفتها لتلك الشخصية[1].

لقد أصاب المشروع الحضاري الغربي الأمة بعنت شديد، نظراً لمجافاته عقيدتها، وتجاهله لمعادلتها النفسية والاجتماعية، وإهماله لشخصيتها الحضارية والتاريخية[2]. فهذا المشروع فشل في خدمة نهضة الأمة، بل وتبنّيها له لن يعمل إلا على تكريس تخلفها؛ لأنه لا يدفعها للتفكير للخروج من أزماتها[3]. وهذه الحضارة الغربية «استهلكت الإنسان والقيم، ونشرت الحروب والدماء والشقاء في كل مكان [. . .]. والحياة التي صيغت على نمطها في بلاد المستعمرات بعد تحررها، انتهت إلى انتكاسات وطنية، وانهيارات حضارية، وفقدت شخصياتها المستقلة»[4]. الحضارة الغربية هي «حضارة إكراه، فالقيم والنماذج الغربية زُرعت في المستعمرات بالإكراه. والحضارة الغربية بجبروتها المادي، قامت على أساس تهديم حضارات أخرى، واستنزاف موارد الشعوب غير الغربية، المادية والروحية»[5].

فالتقدم الأوروبي لا يعني الحضارة، و«حينما نقول اليوم: إن أوروبا ـ أو الغرب عامة ـ بلغت درجة عليا من التقدم. فإنما نقصد درجات عليا من التحكم في وسائل الإنتاج، والصناعة. ولا نقصد درجات عليا من الحضارة. فالحضارة هي الإنسان قبل كل شيء، والإنسان في المجتمعات الأوروبية، إنسان شقي، مستعبد»[6]. لذلك، يمكن القول إن الحضارة المعاصرة (حضارة التصنيع) قامت بإجهاض الإنسانية عن التقدم الشامل المنشود[7]. كما أن هنالك تحذيراً من خطورة

---

(1) المرجع السابق، ص229.

(2) العلواني، طه جابر. **إصلاح الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص11.

(3) المرجع السابق، ص18 ـ 19.

(4) عبد المجيد، محسن. **تجديد الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص188.

(5) يتيم، محمد. **العمل الإسلامي والاختيار الحضاري**. مرجع سابق، ص32.

(6) القديدي، أحمد. **الإسلام وصراع الحضارات**. مرجع سابق، ص89.

(7) ندوة تكريمية للمفكر الكاتب: الحبابي، محمد عزيز. كلمة وختام وشكر: الحبابي، محمد عزيزي. عدد 3. فاس: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، ص189.

الحضارة الغربية على البيئة، إذ إن هذه الحضارة قامت على أساس الصراع مع البيئة، ولذلك أحدثت دماراً لجزء كبير منها. لذا، فالمشاكل البيئية التي يعاني منها العالم اليوم ما هي إلا إحدى الإفرازات المرضيّة لتلك الحضارة[1].

يوجد من المفكرين من يعتبر أن الاتجاه العالمي للعودة إلى الدين لهو خير دليل على تعثر وإفلاس الحضارة الغربية التي وفّرت الحاجات المادية للإنسان لكنها قتلت فيه الجوانب المعنوية والروحية[2]. بل إن التقدم الذي حصّلت عليه المجتمعات الغربية إنما يرجع لأخذها بمبادئ أقرها الإسلام، كالحريات والشورى والتكافل والصدق وما إلى غير ذلك، والتي للأسف تنكر لها العرب والمسلمون[3]. ومن الأخطاء التي وقع فيها العرب هو محاكاتهم وتقليدهم للحضارة السائدة (الغربية)، ذلك أنها بقدر ما حققت من إشباع مادي للإنسان؛ بقدر ما أعطته جفافاً روحيّاً ولم تُشبعه على مستوى أعمق وأشمل ألا وهو تحقيق ذاته كإنسان لا كحيوان[4].

فالحضارة الغربية أعطت الحرية، ثم فتكت بالروابط العائلية، وأنشأت مكانها صلات غير عائلية؛ وطوّرت التكنولوجيا، فخرّب بها الإنسان نفسه؛ وطوّرت وسائل العلاج وعمّمتها، وجاءت بأمراض فتاكة جديدة؛ واهتمت بثقافة الإنسان وتأمين مستقبله، فأعطته علماً وأدباً وتكويناً إنسانياً، ولكن علمته كيف يتصور العنف ويستخدمه، وكيف يتفسخ ويتحول حيواناً يختطف ويقتل ويُرضي شهوته؛ وأعلن الفكر المبدع لهذه الحضارة، بكل أشكاله وأصنافه، عن عجزه المطلق عن تحقيق المجتمع الأمثل. وهكذا أعلنت الثقافة المادية المجردة عن إفلاسها، ويكفي في هذا الرجوع إلى كتابات مفكري الغرب وأحاديثهم[5].

---

(1) جمعية البديل الحضاري. **البديل الحضاري**. منشورات البديل الحضاري (1)، ص53 ـ 54.

(2) إبراهيم، حسين توفيق. الحديني، أماني مسعود. «ظاهرة الإحياء الإسلامي في الدراسات العربية: رؤية تحليلية نقدية»، **مجلة منبر الحوار**. عدد 25، ص33.

(3) الشاوي، توفيق. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «بشريات بين يدي الأمة»، ص82.

(4) حوار مع: فكّار، رشدي. **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 6531 (الثلاثاء 15/ 10/ 1996م) ص10، عمود 5 ـ 6.

(5) حركات، إبراهيم. «من أجل استراتيجية ثقافية للمجتمع الإسلامي» (الجزء الثاني والأخير)، **مجلة دعوة الحق**. عدد 293، ص55.

لكن هناك من يعتقد بضرورة أخذ الحضارة الحديثة (الغربية)، وقبولها كما هي، إذ إن كل حضارة ظهرت في العالم لا يمكنها أن تخلو من مساوئ؛ بل إن هذه الحضارة المعاصرة هي الأكثر مساوئاً في تاريخ الحضارات؛ لأنها أكثر تقدماً واختراعاً، لكن ليس في الإمكان أخذ محاسنها دون مساوئها؛ لأن الاختيار والانتقاء في شؤون الحضارة غير ممكن، فضلاً عن أن هذه الحضارة المعاصرة محتومة على العرب ولا مفرّ أو مهرب لهم منها، فمن الضروري أن يدخلوا معتركها شاءوا ذلك أم أبوه[1]. وهذا الرأي غير مسلّم به، إذ هذه الحضارة الغربية، هي ككل الحضارات، يمكن الفصل فيها بين بعض جوانبها، مما يعني إمكانية أخذ الفوائد، وتجنب الأمور السيئة فيها ما أمكن.

الخلاصة: ترى غالبية المفكرين العرب خطورة «الحضارة الغربية» على العالم عموماً، وعلى العرب خصوصاً؛ لانبنائها على مبادئ هدامة كالمصلحة والمنفعة والقوة والصراع والتنافس؛ وإن كانوا يشيرون إلى وجود جوانب إيجابية فيها، وأنه من الضروري الاستفادة منها لأجل البناء الحضاري العربي. ويُنوّه الكثير منهم بـ«الحضارة الإسلامية الزاهرة»، ويعملون على إبراز عيوب ومساوئ الحضارة الغربية بإظهار الجوانب الإيجابية في الحضارة الإسلامية. وقد يكون هذا الأمر إحدى السلبيات في الفكر العربي، إذ يتم التنويه بالماضي بدل العمل على تغيير الحاضر.

ثانياً: أثر الحضارة الغربية على الحضارة العربية

هنالك اعتقاد لدى العديد من المفكرين العرب بأن الغرب يعمل على بثّ قيمه ومعاييره في المجتمعات العربية والإسلامية لأجل إحكام طوق التبعية عليها وإلى الأبد. فالقوى الخارجية (الغربية) تحاول تغيير أسلوب حياة هذه المجتمعات وعاداتها وتفكيرها لتصبح على منواله، وتعمل دائماً على إفقادها أية إمكانية للنهوض[2]. وقيام الحضارة الغربية نفسه إنما كان بسبب التخلف الذي تعاني منه هذه المجتمعات؛ فلولا هذا التخلف ما كان لهذه الحضارة أن تقوم، لذلك فهي

(1) الوردي، عليّ. حوارات في الطبيعة البشرية» (الحلقة الثامنة)، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 6401 (7/ 6/ 1996م) ص16، عمود 1 ـ 4.

(2) شفيق، منير. **قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري**. مرجع سابق، ص29 ـ 30.

تعمل دائماً على تكريس التخلف الموجود في المجتمعات العربية والإسلامية[1]. وقد أصبحت سياسة الحظر التكنولوجي التي تمارسها البلدان الرأسمالية الصناعية المتقدمة على المجتمعات العربية والإسلامية من الاستراتيجيات الدائمة لإبقاء حالة تخلفها ولإعادة الهيمنة الدائمة عليها[2]. فالغرب عمل على توريد منتجات التكنولوجيا فقط لهذه المجتمعات، لا العلوم والتكنولوجيا نفسها. وفي بعض الأحيان، كان يقوم بتقديم جزء من التكنولوجيا مع إبقاءه للجزء الأهم عنده؛ وكل هذا ليزداد اعتماد هذه المجتمعات عليه. ومن هنا، تأتي خطورة الاستيراد التكنولوجي على التنمية العربية والإسلامية[3].

هنا يرد التحذير من «التغريب»؛ ذلك «أن طريق التغريب، يحكم نير التبعية في الرقاب، ولا يؤدي إلى الاستقلال أو النهضة أو اللحاق بمنجزات العصر»[4]. وتحقيق الأمور الضرورية للأمة كالديمقراطية والاستقلالية والوحدة وغير ذلك، لن يكون بالوقوف على أرض الحضارة الغربية أو التغرّب الفكري، بل بالخلاص من التغرّب والعودة إلى أرض الإسلام وتراث الأمة وتاريخها[5]. التغريب هو الضربة القاصمة التي أراد الغرب إنزالها على رأس الأمة؛ لأنه يحمل سمة الإتّباع والإلحاق والتقليد وفقدان القدرة على الاستقلال والإبداع، مما يكرّس حالة السيطرة الاستعمارية بكل أبعادها، فنهضة الأمة والتغريب نقيضان، كما أن التغريب الحضاري سمة من سمات الاستعمار[6]. وقد أدى حلول هذا التغريب مع أنماط الحياة المتغربة إلى توليد التبعية والمزيد من تخلف الأمة[7]؛ إذ يقوم التغريب الفكري على المرتكزات التالية: اعتبار أن النموذج الحضاري العربي والإسلامي يمثل زمناً ماضياً، وبالتالي لم يعد صالحاً لتحقيق أهداف الأمة؛ في حين يُنظر للنموذج الحضاري الثقافي الأوروبي المعاصر على أنه أرقى ما وصلت إليه

---

(1) المرجع السابق، ص77 ـ 78.

(2) المرجع السابق، ص100.

(3) المرجع السابق، ص107 ـ 108.

(4) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. مرجع سابق، ص23.

(5) المرجع السابق، ص90، ص111 ـ 112.

(6) شفيق، منير. **الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر**. مرجع سابق، ص89 ـ 91.

(7) المرجع السابق، ص99 ـ 100، ص123.

البشرية، لذا فهو النموذج الذي ينبغي تعميمه؛ وأن هناك رسالة للرجل الأبيض (الغربي) لا بدّ أن يؤديها، تتمثل في نشر المدنية المعاصرة والقضاء على عصور الانحطاط والاستبداد[1].

لكن حلّ مشاكل الأمة لن يكون إلا بالرد على التغريب (إحدى سمات الاستعمار والإمبريالية) بكل أوجهه وأشكاله[2]، إذ أنه «من المحال لفكر التغريب، أو الوقوف على أرض الحضارة الأوروبية والتفرنج، أن يصنعا ثورة أو نهضة في بلادنا. [...] فالعلّة في الأساسات والجوهر [...]، ذلك أن:

1 ـ الحضارة الغربية نفسها، بحاجة إلى تغيير جذري. فقد قامت على أساس العنف والنهب، ولم تستطع في تطوراتها اللاحقة إلا أن تمضي في الاتجاه الذي حدده هذان الأساسان. وقد أثبتت أنها لم تستطع أن تقدم للعالم نموذجاً حضارياً، يرقى بعلاقات الإنسان بأخيه الإنسان [...].

2 ـ النموذج الحضاري الأوروبي المعاصر، تأسس ونما وترعرع، في ظل السيطرة على العالم ونهبه، مما لا يسمح أن يكون نموذجاً قابلاً للتعميم على بقية شعوب العالم [...].

3 ـ نقل هذا النموذج الحضاري الأوروبي أو ذلك، إلى الديار الإسلامية (عملية التغريب)، لا ينتج عنه غير المزيد من التجزئة والتبعية والعجز والشلل.

فكل هذه النماذج غريبة عن الشعب وروحه، ولا تفعل غير إيقاعه في وهد الضياع والاستلاب والسلبية، فتفقد الأمة شرط نهوضها. لأنه ما من طريق لمواجهة التحديات، إلا من خلال تعبئة الملايين واستنهاضها. أما التغريب، فلا يفعل ـ في أحسن حالاته ـ غير إبعادها عن المشاركة في الصراع [...]. ومن هنا، كان القطع، بأن السير على طريق التغرب، يقود إلى العقم والفشل والهزائم والانحطاط، ولا أمل يُرجى مطلقاً في ظله، أو فوق أرضه، أو من خلال أية مدرسة من مدارسه»[3]. فالتغريب مقترن بالتبعية[4]، والعلاقة تعاكسية ما بين المسار

---

(1) المرجع السابق، ص124 ـ 125.

(2) المرجع السابق، ص131 ـ 133.

(3) المرجع السابق، ص171 ـ 172.

(4) حنفي، حسن. **مقدمة في علم الاستغراب**. مرجع سابق، ص541.

obeikandl.com

الحضاري للأمة العربية والمسار الحضاري للآخر؛ ذلك أنه حينما كان المسار الحضاري للأمة في صعود، كان مسار الآخر الحضاري (أي الغرب) في هبوط؛ وعندما كان مسار الأمة في هبوط كان مسار الآخر في صعود. وفي بعض الأحيان كان المساران يصلان إلى لحظة التلاقي وهي لحظة الصفر[1].

تتجلى خطورة الخارج أو الغرب على نهضة الأمة في كون كل محاولة لنهوضها لم تسقط من تلقاء نفسها بسبب نواقصها (وإن كان للداخل أثر مهم)؛ وإنما سقطت نتيجة للفعل الخارجي (الغربي)[2]. فعلّة العلل التي واجهت كل مشاريع الإصلاح والنهوض في الأمة هو اتحاد القوى الكبرى العالمية ضدها، في حين لم تلق الدعم الكافي من بقية أجزاء الأمة[3]. ويُرجع البعض سبب تعثّر المشروع النهضوي العربي إلى ظهوره متزامنا مع ثلاثة مشاريع غربية منافسة له، وهذه المشاريع هي: المشروع الاستعماري الأوروبي، والمشروع الصهيوني، والمشروع الاشتراكي العالمي[4]. وإذا كان سبب فشل المشروع النهضوي العربي هو نتيجة لعوامل خارجية؛ فإن هذه العوامل ما كانت لتفعل فعلها لولا وجود وضعية داخلية عربية مساعدة على تحقيق ذلك[5]. لكن، ومع ذلك، تنبغي رؤية «الآخر» بوضوح من أجل وضوح الأنا وتبلورها؛ لأن «الوعي بـ«الأنا» يتم عبر «الآخر»»[6]. وقد أصبح النموذج الغربي متحكم رئيسي بالحركة الفكرية العربية[7]،

---

(1) المرجع السابق، ص500 ـ 504.

(2) شفيق، منير. **في نظريات التغيير**. مرجع سابق، ص150.

(3) شفيق، منير. «في تقويم تجارب النهوض»، **مجلة المنعطف**. عدد مزدوج 3، 4 (1992م) ص133.

(4) الجابري، محمد عابد. **المشروع النهضوي العربي**. مرجع سابق، ص38 ـ 43.

(5) المرجع السابق، ص58.

قربال، نور الدين. **إشكالية الديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر**. مرجع سابق، ص54.

سليم، نبيل. «التراث العربي: دروس وآفاق»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 169، ص129.

عيسى، محمد عبد الشفيع. «نحو نظرية عربية في التخلف والتنمية»، **مجلة الوحدة**. عدد 89، ص90 ـ 101.

عبد الله، ثناء فؤاد. «ممكنات التغيير في المجتمع العربي»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 176، ص25.

صالح، أحمد عباس. «المثقفون العرب... منافقون أم أحرار؟»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5561 (الجمعة 18/ 2/ 1994م) ص9، عمود 2.

(6) الجابري، محمد عابد. **المشروع النهضوي العربي**. مرجع سابق، ص94.

(7) إسماعيل، فادي. **الخطاب العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص11.

وأحد الأطراف الرئيسية المتحكمة بعملية النهضة والتقدم والحداثة في العالم العربي[1]. وقد نجح الخارج أو الآخر في إحباط كل تجربة ذاتية عربية للنهضة والتقدم، بمساندة الأسباب الداخلية الذاتية الضعيفة الواهنة والقابلة للاختراق من قبل العامل الخارجي[2].

يوجد تنبيه إلى أمر خطير هو أن عبور الغرب للعالم العربي، بسياساته ونظمه، إنما كان عن طريق الإيديولوجيا العلموية التي تجعل العلم والعقل مرادفاً للمدنية والتقدم والقوة، دون النظر للسياق التاريخي ـ الحضاري[3]. ومن الخطورة اعتماد منظومة الآخر (الغرب) في الرد عليه؛ لأن ذلك لن يفضي إلا إلى الإقرار بكونية ثقافته؛ أي إلى الإقرار بسيطرته[4]. والغرب يعمل على إلغاء الإسلام، كشرط لاستمرار غلبة حضارته في العالم العربي، ومقدمة لإدخال مفاهيمه في هذا العالم دون أن يتم رفضها[5]. لذا، يُعتبر الانكفاء الديني مرحلة من المراحل، وشكل من الأشكال، في مواجهة نمط التغريب، وإن كان مقاومة سلبية[6]. وقد قام الغرب بإنشاء مجتمع سلطوي في العالم العربي هو «مجتمع النخبة» والذي قام بدوره بإضعاف النخب التقليدية[7]. وسيستمر الغرب في ضرب أية خلية حضارية في العالم العربي، إذا اشتم في خميرتها رائحة النهوض الحقيقي[8]، وسيستخدم جميع الوسائل لذلك، حتى لو كانت عسكرية[9]. فهو لا يريد أن يرى أي بناء حضاري حقيقي على الأرض العربية؛ لذا لا بدّ من أن تتوفر لأية تجربة حضارية عربية الدروع السياسية والعسكرية الواقية التي تحمي بها تنميتها الشاملة وبنائها الحضاري كي لا تبقى عُرضة لمخالب الهجمات التي لا تتوقف ضد التحضّر العربي[10].

---

(1) المرجع السابق، ص61 ـ 62.
(2) المرجع السابق، ص77 ـ 84.
(3) المرجع السابق، ص90.
(4) المرجع السابق، ص105.
(5) المرجع السابق، ص109 ـ 110.
(6) المرجع السابق، ص112.
(7) المرجع السابق، ص114.
(8) الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة**. مرجع سابق، ص63 ـ 64.
(9) المرجع السابق، ص72.
(10) المرجع السابق، ص74، 246.

يُرادف بعض المفكرين بين الآخر والاستعمار والغرب، ويعتبرون أن الآخر هو أحد الأسباب الرئيسية لسقوط الأمة في وهدة التخلف، ولا يزال يُسهم، وبشكل مستمر، في زيادة واستمرار تخلفها[1]. وهنا تنبع خطورة طغيان مفاهيم الحضارة الغربية في العالم العربي؛ لأنها لم تزده إلا تبعية وتكريساً للتخلف والانفصام الحضاري[2]؛ ولن يسمح الغرب بإنتاج مسار فكري منفصل عنه في العالم العربي[3]. وهنالك من يرى خطورة الاستشراق والمستشرقين على نهضة الأمة[4]، ذلك أن «المستشرقين، يدسّون السم في العسل، كما يُقال، من خلال بثّ الأفكار الغربية، وتشويه الأحداث، وتعسّف النصوص، بهدف زعزعة الثقة لدى الإنسان العربي في مقوماته الحضارية والثقافية»[5]. وقد أثمرت الجهود الاستشراقية عن «إيجاد مؤسسات، وأفراد، يخدمون الفكر الإستشراقي في العالم العربي. مما أنتج في النهاية، عقلاً تابعاً، يفتقد الاستقلال والرؤية المتميزة»[6].

إن اتخاذ النموذج الغربي كمثال للتنمية في مسارات التنمية العربية، أدى بالعرب إلى سياسة تنموية تابعة في مختلف المجالات، الاقتصادية والفكرية والثقافية؛ وهذه السياسة كانت وراء فشل الكثير من خطط التنمية العربية[7]. وقد أفضى الوعي التنموي المغترب إلى تكريس التخلف وإعادة إنتاجه في العالم العربي، وأسهم بشكل مباشر في تعميق التبعية الفكرية التنموية العربية[8]. لذا، فالمطالبة قوية بنبذ جميع «النماذج التنموية المستوردة»، لعدم صلاحيتها للتنمية العربية المطلوبة[9]؛ ولأن فشل الكثير من التجارب التنموية العربية إنما كان نتيجة لعدم ابتدائها من الوعي القائم[10]. وقد تولّد «الاتجاه التغريبي اللاديني» الذي

---

(1) يوسف، يوسف إبراهيم. **إنفاق العفو في الإسلام**. مرجع سابق، ص11.
(2) الإمام، أحمد عليّ. **المستقبل للإسلام**. مرجع سابق، ص18.
(3) ملكاوي، ثابت. **إشكالية العقل العربي بين الذات والآخر**. مرجع سابق، ص12.
(4) فتاح، حميد. **الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة تحدياته**. مرجع سابق، ص201 ـ 217.
(5) الطريري، عبد الرحمٰن. **العقل العربي**. مرجع سابق، ص94.
(6) المرجع السابق، ص96.
(7) عبد العليم، عفاف. **التنمية الثقافية**. مرجع سابق، ص36.
(8) المرجع السابق، ص59، 428.
(9) المرجع السابق، ص292.
(10) المرجع السابق، ص274.

obeikandl.com

يحمل «المشروع التغريبي» في العالم العربي والإسلامي، والذي يسعى إلى تقليد ومحاكاة الغرب، ظنّاً منه أن الأفكار يمكن أن تُستورد وتحقق النهوض كما تُستورد الأشياء لحاجات الاستهلاك. وقد فشل هذا الاتجاه في إحداث النهضة العربية والإسلامية، لمجافاته لميراث الأمة الثقافي، وعجزه عن محاكاة شخصيتها الحضارية التاريخية وتجاهله لمعادلة الأمة النفسية والاجتماعية، وكذلك لممارسات أصحابه الاستعمارية والاستغلالية[1]. وكان لارتباط الأمة بالسياسات الثقافية والتعليمية الخارجية (الغربية) دور أساسي في تخلفها وتأزمها[2].

إن «التغريب» و«العلمنة» ومشاريعهما يشكّلان تحدياً حضارياً لمستقبل الأمة، لذلك ينبغي تخليص مشاريع وخطط التنمية في الأمة منهما ومن كل أشكالهما على جميع المستويات[3]. وينبغي الانتباه إلى بعض المعابر التي يمكن أن يتسلل منها التغريب والغزو الثقافي، كالبعثات الطلابية للخارج، والمدارس الأجنبية الموجودة في العالم العربي والإسلامي، والأساتذة الأجانب الذين تم استقدامهم للتدريس في مؤسسات الأمة وجامعاتها، ومناهج التعليم التي جرى اقتباسها من مناهج الغرب (شكلاً ومضموناً)، والإعلام الموجّه الذي تغيب عنه ثقافة الأمة. ومع ذلك، فهناك من يرى أن هذا التغريب أو الغزو الثقافي ليس شراً كله، بل فيه إيجابيات ومنافع للأمة، من ذلك ما حمله إليها من علوم بحتة وتطبيقية وفنية[4]. لكن الظاهر هو أن الاتفاق منعقد بين المثقفين العرب والتيارات الفكرية العربية على أن «الغرب» والآخر الغربي هو في مقدمة أسباب الأزمة المعاصرة للأمة، وأحد عوامل الإعاقة لنهضتها الحضارية، لكن قد تختلف مصطلحاتهم ومفاهيمهم وأساليبهم في التعبير عنه[5].

---

(1) العلواني، طه جابر. **إصلاح الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص30 ـ 31.

(2) المرجع السابق، ص82.

(3) المنجرة، المهدي. «التقرير الختامي لندوة قضايا المستقبل الإسلامي، في الحرب الحضارية الأولى»، ص295 ـ 296.

(4) يسّف، محمد. ندوة: «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي»، موضوع: «الثقافة الإسلامية وجامعاتنا المعاصرة»، ج2، ص126 ـ 127.

(5) عبد اللطيف، كمال. «المجتمع المدني في الوطن العربي»، من المناقشات، ص198. ويذكر أن الكيان الصهيوني هو رأس حربة المشروع الغربي للسيطرة. =

يمثّل الغرب تحدياً وجودياً وحضارياً للأمة العربية، إذ أنه سكن الفكر

= زيادة، معن. «المجتمع المدني في الوطن العربي». يرد على المناقشات، ص201. ومن المناقشات: حماد، مجدي. ص329. ومن التعقيبات: حماد، مجدي. ص541.
عليمات، حمود. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «الفعل الإسلامي الدولي بين قدرات الأمة وإرادة الحركة»، ص194.
صافي، لؤي. «الحركة الإسلامية في مرآة أحداث الخليج»، ص211.
الفرحان، إسحاق. «نحو استراتيجية عربية إسلامية مشتركة لمنطقة الشرق الأوسط»، ص361؛ وهو يذكر مصطلح «الاستعمار العالمي الجديد»، وبأن قائدته أمريكا.
العيّادي، تيسير. «الحركة الإسلامية في حلبة الصراع العقائدي والحضاري»، ص376، ويوجد حديث عن تعاون كل من الصليبية والصهيونية في إعاقة نهضة الأمة.
السندك، أحمد بلحاج. **حقوق الإنسان: رهانات وتحديات**. ص83.
عليّ، حيدر إبراهيم. **أزمة الإسلام السياسي**. ص10.
الإمام، أحمد عليّ. **المستقبل للإسلام**. ص49 ـ 50. ويرد لديه أن سبيل الغرب لتحقيق ذلك: القوة العسكرية. ولذلك يدعو لتحويل هذا الصراع، من صراع عسكري إلى صراع حوار.
دواره، فؤاد. **أزمة الفكر العرب**. ص61 ـ 62. ويعتبر أن الغرب قد يصل لاستخدام القوة العسكرية لتحقيق ذلك.
المنجرة، المهدي. **حوار التواصل**. ص75، ص84.
«مهام المثقف العربي وتحديات المرحلة الراهنة»، **مجلة الوحدة**. عدد 66، كلمة الوحدة، الدائرة العلمية في المجلس القومي للثقافة العربية، ص3 ـ 6.
كيلو، ميشيل. **ثورة الفكرة... وثورة الواقع**. ص99.
سبيلا، محمد. «حرب الخليج: جدل الثروة والقوة»، **مجلة الوحدة**. عدد 79/ 80، ص95.
الجمالي، حافظ. «الأوضاع العربية في عيون الإحصاءات»، **مجلة الوحدة**. عدد 98، ص102.
«العرب، وقضية لوكربي»، **مجلة الوحدة**. هيئة التحرير، عدد 93، ص8.
أحمد، عزت السيد. «هل بدأ عصر الهيمنة الأمريكية؟»، ص106؛ ويعتبر أن سبب تلك الإعاقة، أن التقدم العربي سيغلق الأسواق الداخلية العربية أمام منتجات الغرب، وهذا ما لا يرضى عنه أو يسمح به.
عمارة، محمد. «العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية الراهنة»، **مجلة مستقبل العالم الإسلامي**. عدد 6، ص12 ـ 25.
الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (1)**. ص177 ـ 182.
عبد الدائم، عبد الله. «القومية العربية والنظام العالمي الجديد»، **مجلة شؤون عربية**. عدد 69، ص34.
حمودة، معالي عبد الحميد. «الكيان الصهيوني واغتيال علماء الأمة»، **مجلة رسالة الجهاد**. عدد 103، ص54.
الربيعو، تركي عليّ. «مدخل لدراسة أزمة النمط الحضاري المهيمن»، **مجلة منبر الحوار**. عدد 30، ص22. =

obeikandi.com

العربي، وتحوّل لإطار مرجعي للمفكرين العرب، وإن لم يعلنوا ذلك صراحة[1]، وقد عمل الغرب منذ بداية القرن التاسع عشر «على إجهاض كل محاولات النهوض العربية الإسلامية إلى الآن. وفي كل مرة يجد الوسائل الملائمة لإدامة التأخر التاريخي العربي»[2]. ولعل ذلك ما يفسر حضور الغرب في الفكر العربي، منهجاً وفكراً وإشكالاً[3]. وقد أصبح وعي الذات ووعي الآخر القطبان أو المحوران اللذان يشكلان بعداً أساسياً في الفكر العربي المعاصر، فمنذ القرن الماضي والعرب يطرحون على أنفسهم هذا السؤال، سؤال الذات والآخر[4].

يعتقد بعض المفكرين بتخلف الحضارة الغربية؛ لأنها بعيدة عن الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان[5]. لذا، يرد التحذير من نقل واستعارة «النظم السياسية الغربية» للعالم العربي؛ لأن ذلك النقل وتلك الاستعارة يعملان على إعاقة نهضته[6]. فالنماذج الغربية (الرأسمالية والاشتراكية) لم تؤدّ لتحقيق تنمية الأمة أو الخروج من إسار تبعيتها، نظراً لاختلاف الظروف التاريخية التي نشأت فيها تلك النماذج عن الظروف التاريخية للأمة، ولأنها تُخفي في طياتها ومضمونها تحيزاً إيديولوجياً للمجتمعات الغربية التي وُلدت فيها[7]. وكلا النظامين، الليبرالي

= بكير، عبد الله عبد الرحمٰن. «مواجهة بين مشروع استعماري صهيوني ومشروع نهضوي عربي إسلامي (1)»، **جريدة القدس العربي**، عدد 1481 (الثلاثاء 22/ 2/ 1994م) السنة الخامسة، ص11.
الركابي، زين العابدين. «التشويه الغربي بإخراج عربي»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 6059 (السبت 1/ 7/ 1995م) ص9، عمود 1 ـ 2.

(1) أفاية، نور الدين. «المعقول والمتخيل في الفكر العربي المعاصر»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 160، ص7 ـ 8.
(2) **مجلة المستقبل العربي**. ص160، ص16.
(3) جدي، أحمد. «الفكر العربي والمستقبل: مدخل إشكالي ومنهجي»، **مجلة الوحدة**. عدد 81، ص96.
(4) عليّ، هشام عليّ. «وعي الذات ووعي الآخر: استعادة النهضة أم الدعوة لفكر نهضوي جديد»، **مجلة الوحدة**. عدد 100، ص175.
(5) بنمسعود، عبد المجيد. «أزمة القيم وإشكالية التخلف الحضاري»، **مجلة المنعطف**. عدد مزدوج 3، 4 (1992م) ص42.
(6) العمري، أكرم ضياء. **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**. مرجع سابق، ج1، ص92.
(7) خلاف، خلاف خلف. «إشكالية التنمية العربية بين الاعتماد على الذات والحد من التبعية»، **مجلة شؤون عربية**. عدد 69، ص143 ـ 144.

والشيوعي، إنما يعملان على تنمية الانحرافات الحضارية التي يعيشها الإنسان الآن؛ ففي كلا النظامين شقاء للحياة المادية والمعنوية[1]، ويمكن اعتبار النموذجين، الليبرالي والماركسي، أحد مظاهر الانهزام الحضاري للأمة أمام الغرب[2].

كما ينظر البعض للشيوعية والرأسمالية على أنها أنظمة فاشلة، وهناك عوامل عديدة تعمل على انهيارهما: ذلك أن الشيوعية تتسم بالكبت ومصادرة الحريات وكرامة الإنسان وتصادم الفطرة البشرية التي لا تُطيق الصبر على الباطل مدة طويلة، أما الرأسمالية فيتفشى في كيانها الفساد والانحلال والتجاوز في الاستغلال الذي يفضي لحقد المستغَل على المستغِل وغياب الروح (أو الطيران بجناح واحد هو المادة)[3]. لكن هناك من يعتقد بضرورة حضور المرجعية الأوروبية في الفكر النهضوي العربي الحديث، بالإضافة للمرجعية التراثية العربية والإسلامية، إذ إن هذا الفكر خليط ومزيج من كلا المرجعيتين، فإذا ما أُريد تحديد مفهوم من المفاهيم المركزية في الفكر العربي المعاصر، فلا بدّ من استحضار الكيفية التي يتحدّد بها داخل كل مرجعية منهما، إذ قد يكون فقيراً في مرجعية وغنيّاً في المرجعية الأخرى[4].

لكن ينبغي الانتباه إلى أمر مهم، يتمثل في أن «النموذج الحضاري الغربي، قد تم فرضه علينا منذ بداية الاستعمار الأوروبي، ولم تكن لنا فيه حرية الاختيار، وفرض نفسه كنموذج عالمي»[5]، ونتيجة لذلك الفرض الحضاري للنموذج الغربي، كمرجعية وكممارسة حياتية، فإن الغرب يتحمّل جزءاً من المسؤولية في إعاقة النهضة العربية، إضافة إلى وضعية التناقض العربي[6]. فالغرب، بما يمثله من قوى

---

(1) غلاب، عبد الكريم. **من اللغة إلى الفكر**. مرجع سابق، ص169.

(2) يتيم، محمد. **العمل الإسلامي والاختيار الحضاري**. مرجع سابق، ص50 ـ 51.

شفيق، منير. «الحداثة الغربية: مركز وأطراف»، **جريدة القدس العربي**، عدد 1082 (الثلاثاء 3/ 11/ 1992م) ص11، عمود 1 ـ 2.

(3) الذارحي، حمود. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «الخليج، الأزمة والحرب... التفاتات إسلامية لا بدّ منها»، ص456.

(4) الجابري، محمد عابد. **وجهة نظر**. مرجع سابق، ص23.

(5) الجابري، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص18.

(6) المرجع السابق، ص142.

استعمارية وإمبريالية عالمية، هو حجر عثرة أمام تقدم الأمة وحداثتها وسيرها الديمقراطي، ويعمل كل ما في وسعه لأجل إعاقة تنميتها[1]. ويظهر تأثّر بعض المفكرين العرب بالغرب وأفكاره، إذ يعتبرون أن الغرب وحضارته مهمان للعرب للمشاركة في العصر كفاعلين ومنفعلين، فلا بدّ من الانغماس بالآخر (الغرب) والتمادي في الأخذ عنه دون وجل أو خوف، مع التمييز بين روح الغرب وفكره وقيمه، ذلك أن روح الحضارة الغربية هي روح إنسانية عالمية عامة تصلح للجميع؛ لأنها روح العلم والعقل والمنهج[2].

وقد كانت الانطلاقة الحضارية للعرب نتيجة للحضور الغربي في الشرق، فقد حمل معه إنجازات عصر التنوير، الفكرية والاقتصادية والعلمية والصناعية... إلخ[3]. ويذكر البعض أن «هناك رأيان في أثر الحملة الفرنسية على النهضة العربية. يعتقد أصحاب الرأي الأول، أن الحملة كانت السبب في النهضة. ويذهب أصحاب الرأي الثاني إلى أنها أجهضت نهضة فعلية، كانت قد بدأت بالتشكل. والحقيقة أنه يصعب الدفاع عن الرأي الثاني»[4]. بل إن هناك من ينظر لبعض التيارات الغربية كالاشتراكية والماركسية اللينينية على أنها ضرورة لتحقيق النهضة العربية[5].

---

(1) الجابري، محمد عابد. «من نتائج حرب الخليج»، **مجلة الوحدة**. عدد 79، 80، ص33 ـ 34.

(2) العظمة، عزيز. «الدين والدنيا في الواقع العربي»، **مجلة دراسات عربية**، السنة التاسعة والعشرون، عدد 5، 6، السنة التاسعة والعشرون، ص12.

اليافي، نعيم. **النهضة الأوروبية وعلاقتها بالعرب**. مرجع سابق، ص38 ـ 39.

(3) مقلد، محمد عليّ. «الفكر العربي المعاصر: الأصولية المضادة»، **مجلة الفكر العربي المعاصر**. عدد 80، 81، ص37.

(4) اللاذقاني، محيي الدين. «النظام الثقافي العربي... جذوره التاريخية وأفقه المستقبلي»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 6187 (الاثنين 6/ 11/ 1995م) ص20، عمود 5.

(5) الجباعي، يوسف. «ثقافة الطفل العرب»، موضوع: «إشكالية الأصالة والهوية»، ص114 ـ 115. بخصوص الاشتراكية.

لقاء مع: منيف، عبد الرحمٰن. **جريدة القدس العربي**، عدد 761 (السبت/ الأحد 19 ـ 20/ 10/ 1991م) ص6، عمود 6. بخصوص الاشتراكية.

مداخلة: المقدسي، أنطوان. ملف تكريم المجلس القومي للثقافة العربية لإلياس مرقص، بعنوان: «ما هي الماركسية: قراءات إلياس مرقص في أسفار اللينينية»، ص226. بخصوص الماركسية اللينينية.

المشروع الحضاري الغربي، إذن، مشروع استكباري يخص الغرب وحده، ويُصادم المشروع الحضاري للأمة، ويمثل خطراً على هويتها[1]. كما يبرز التحذير من المركزية الأوروبية، والتي تقوم على مبدأ أهلية وأحقية الإنسان الأوروبي في التمدن والتقدم، ونفي هذه القابلية عن غيره، لا سيما إذا تعلق الأمر بالعرب أو الأفارقة[2]. ولا بدّ من القول، وبكل وضوح، إن للغرب مصالح أساسية وثابتة في المنطقة العربية، والتي تشكل قلب العالم الإسلامي. ومن أهم هذه المصالح: النفط، والأرصدة النقدية، والممرات الإستراتيجية، وتثبيت وجود الكيان الاستيطاني الإسرائيلي في المنطقة وتدعيمه. وتحرص الدول الغربية على استمرار تأمين مصالحها في المنطقة استناداً إلى عدة استراتيجيات وأساليب؛ أبرزها: ضمان استمرار تبعية الدول العربية والإسلامية للغرب، وهذه التبعية تأخذ صوراً متعددة وأشكالاً متداخلة، وتشمل المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية والغذائية والمالية والثقافية والفكرية والسياسية... إلخ؛ وضرب وتحجيم دور القوى الفاعلة الرافضة للتحديث على النمط الغربي والساعية لتحطيم الهيمنة الغربية، وتأكيد الاستقلال الوطني، وتدشين الخصوصية الثقافية والهوية الحضارية الذاتية[3]. لذا، يشير البعض إلى أن تأثر الأمة السلبي بالحضارة الغربية هو نتيجة لتخلفها عن دينها وعن العصر الذي تعيشه[4]. وقد أدى أخذ الأمة للبطانة الإيديولوجية التي تلفّ النظريات السياسية والفلسفية والفكرية الغربية إلى تحوّل هذه النظريات إلى عوائق إبستمولوجية تسهم في تعميق الهوة ما بين التراث والحداثة[5].

الخلاصة: يعتقد المفكرون العرب بأن «الغرب» أثّر على النمو الحضاري العربي، وما زال يؤثر، عن طريق أفكاره ومبشريه وتكنولوجيته ومدارسه، حتى أنه

---

(1) جابر، حسن. محور العدد: «الغزو المغولي ومشروع الاستيعاب الحضاري»، الافتتاحية: «الغزو المغولي وخيارات الموقف: قراءة سياسية»، **مجلة المنطلق**. عدد 86، 87 (كانون الثاني/ شباط 1992م) ص8.

(2) قسّوم، عبد الرزاق. «الطابع العدواني في منهج كتابة تاريخ الأمة الإسلامية»، **مجلة رسالة الجهاد**. عدد 90، ص81.

(3) إبراهيم، حسنين توفيق. والحديني، أماني مسعود. «ظاهرة الإحياء الإسلامي في الدراسات الغربية: رؤية تحليلية نقدية»، عدد 25، ص20 ـ 21.

(4) بها، عبد الله. **سبيل الإصلاح**. مرجع سابق، ص14.

(5) بوقربة، عبد المجيد. **الحداثة والتراث**. مرجع سابق، ص21.

أصبح اليوم أحد الأقطاب المؤثرة في الفكر والمفكرين العرب بشكل ظاهر أحياناً وخفي أحياناً أخرى. وترى غالبيتهم خطورة «الغرب» وحضارته على النهوض الحضاري العربي، ذلك أن من أهدافه الأساسية إعاقة بناء النهضة العربية وإبقاء العرب في طور التبعية والتخلف، وقد قامت حضارته على تخلف العرب ونهب ثرواتهم. لكنهم مع ذلك يرون أن في «حضارة الغرب» جوانب إيجابية يمكن أخذها والاستفادة منها في عملية البناء الحضاري العربي، شريطة أخذ الحيطة والحذر في هذا التواصل.

ثالثاً: علاقة العرب بالغرب، المراحل والمواقف

يوجد اعتقاد لدى المفكرين العرب مفاده أن «الآخر» حاضر باستمرار في الوعي القومي العربي، وفي الموقف الحضاري العربي، ومع ذلك لم يقم العرب بحركة نقد له لحد الآن[1]. وقد كان الانفتاح الثقافي العربي على الغرب في فجر النهضة العربية مبرراً، وذلك نتيجة للصدمة الحضارية التي دفعت العرب للانجذاب نحوه[2]. فالحضارة تنقسم إلى نوعين: «حضارة الأنا» التي هي حضارة مركزية تنسج علومها حول مركز واحد؛ و«حضارة الآخر» التي هي حضارة طردية تنشأ علومها بقوة طردية تُبعدها عن المركز القديم بعد أن بدت عيوبه وتهاوت علومه[3]. ويبرز جدل «الأنا والآخر»، والذي هو «صراع بين الجديد والقديم على مستوى الحضارات، وفي مسار التاريخ، يحدث عند كل شعب، وعلى مستوى الدوائر الحضارية الكبرى. فإذا كان الغرب هو الأنا، فإن الشرق بالنسبة إليه هو الآخر. والعكس بالعكس، إذا كان الشرق هو الأنا، فالغرب هو الآخر بالنسبة إليه. وإذا كان العالم الثالث هو الأنا، كان الشرق والغرب على السواء هما الآخر بالنسبة له. وإذا كان الشرق والغرب؛ أي العالم المتقدم المتنافس ذو النظامين المختلفين: الاشتراكية والرأسمالية، هو الأنا، فإن شعوب العالم الثالث التي تودّ كل كتلة جذبها إليها، هو الآخر، وإذا كانت اليابان هو[4] الأنا، فإن الآخر بالنسبة إليه هو

(1) حنفي، حسن. **مقدمة في علم الاستغراب**. مرجع سابق، ص13.
(2) المرجع السابق، ص47 ـ 48.
(3) المرجع السابق، ص81 ـ 82.
(4) هكذا ورد الضمير في الأصل، وأظن الأفضل أن يكون: (هي) لأن اليابان مؤنث.

الغرب، كأخر[1] تاريخي، أو الاتحاد السوفييتي كأخر[2] استثماري، أو سواحل شرق آسيا كمجال حيوي، أو العالم كله كمصادر للمواد الأولية وكأسواق للاستهلاك. إذن، يتحدّد الآخر طبقاً لحاجات الأنا [. . .]. ولكن بالنسبة إلى شعوب العالم الثالث في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، يظل الآخر بالنسبة لها هو الغرب. فالأنا هي حضارة الأطراف، والآخر هو حضارة المركز.

وبالنسبة لنا، في قلب العالم العربي والإسلامي، فإن الآخر بالنسبة لنا على وجه التحديد هو الغرب»[3]. وهذا التقابل بين «الشرق والغرب» هو تقابل حضاري؛ فالغرب يعني المشروع الإنتاج الغربي الحديث، والشرق يعني إمكانيات الحضارات التاريخية وهي تتحقق من جديد[4]. وصورة الأنا (العربية) لدى الآخر (الغربي)، وصورة الآخر لدى الأنا، هما صورتان مختلفتان تماماً، ذلك أن صورة الأنا (العربية) في وعي الآخر (الغرب) هي أنه يمثل بدايات الوعي الإنساني (الإنسانية في مرحلة الميلاد)، بلا وعي ولا إرادة ولا عقل، في حين أن الآخر (الغرب) في وعي الأنا (العربية) هو نموذج التقدم والنهضة والعلم والعقل والحرية والديمقراطية والمجتمع المدني والنظام الليبرالي والحداثة والتغير الاجتماعي والمستقبل، كما أنه الغرب الذي عاينه العرب منذ بداية الاستعمار القديم مع الحروب الصليبية والكشوف الجغرافية وحتى الاستعمار الاستيطاني الحديث، وهو أيضاً نمط الاستهلاك الذي يُصدّر للعرب منتجاته، فهو النّدّ والغريم، وليس الصديق أو الحليف[5].

النموذج الغربي الأوروبي هو أحد ثلاثة أطراف تُحدّد تصور العرب للنهضة، ذلك أن الحضارة الأوروبية كانت المهماز الذي أيقظ العرب وطرح عليهم مشكل النهضة. لكن العلاقة العربية مع الغرب كانت مصحوبة بنوع من التوتر الوجداني، إذ ازدوجت معاً مشاعر الحب والكراهية له؛ لأنه قد حمل للعرب وفي آن واحد:

---

(1) هكذا وردت الكلمة في الأصل، وأظن الأحسن أن تكون: (آخر).

(2) نفس الملاحظة السابقة.

(3) حنفي، حسن. **مقدمة في علم الاستغراب**. مرجع سابق، ص495.

(4) المرجع السابق، ص544.

(5) المرجع السابق، ص551 ـ 553.

القمع والحرية، أو الإيديولوجيا الليبرالية والتدخل الاستعماري[1]. وهذا الحضور الغربي في الفكر العربي يتجلى في كون الخطاب النهضوي العربي كان في جملته جواباً على التحدي الغربي[2]. وتظهر تلك العلاقة المتوترة بين العرب والغرب في أن «النهضة العربية الحديثة، كانت أساساً، ومنذ البداية، وليدة الصدمة مع قوة خارجية ومُهددّة، قوة الغرب وتوسعه الرأسمالي والاستعماري [. . .] لقد كان ولا يزال يحمل بالنسبة إلى مشروع النهضة العربية، مظهرين متناقضين: مظهر يمثل العدوان والغزو الاستعماري [. . .]، ومظهر يمثل الحداثة والتقدم [. . .]. ومن هنا كان الغرب، ولا يزال، بالنسبة إلى العرب: العدو الذي يجب الاحتراز منه، والوقوف ضدّ مطامعه وسيطرته من جهة؛ والنموذج الذي يُغري باحتذائه والسير في ركابه من جهة ثانية. هذه الطبيعة المزدوجة للعامل الخارجي، العدو ـ النموذج في الوقت نفسه، قد جعل موقف النهضة العربية من الماضي ومن المستقبل معاً، موقفاً مزدوجاً كذلك. فالتبس وتداخل فيها ميكانيزم النهضة الذي قوامه الرجوع إلى «الأصول» للانطلاق منها إلى المستقبل، مع ميكانيزم الدفاع الذي قوامه الاحتماء بالماضي والتثبت في مواقع خلفية كما بينا، مما جعل قضية النهضة للفكر العربي تتخذ وضعاً إشكالياً متوتراً، اعتدنا على التعبير عنه بإشكالية «الأصالة والمعاصرة»، الإشكالية التي تعني [. . .] وجود نوع من التوتر والقلق والالتباس في العلاقة بين الماضي والمستقبل، بين التراث والفكر المعاصر؛ بين الأنا والآخر [. . .]. والنتيجة تشويش الحلم النهضوي في وعينا»[3]. وقد تأثر «المشروع النهضوي العربي» بـ«المشاريع الغربية»، ذلك أن «العلاقة بين المشروع النهضوي العربي، والمشاريع الثلاثة الأخرى التي عاصرها (الحداثة الأوروبية، والاشتراكية العالمية، والحركة الصهيونية) كانت تطال، سياسياً وفكرياً، المشروع النهضوي العربي بشقيه: الوحدة والتقدم. [. . .] إن فعل هذه المشاريع في المشروع النهضوي العربي كان، طوال المائة سنة الماضية، فعلاً متواصلاً متعدد الاتجاهات،

---

(1) الجابري، محمد عابد. **الخطاب العربي المعاصر**. ص22 ـ 24. والطرفان الآخران اللذان يحددان تصور العرب للنهضة هما: النموذج العربي الإسلامي، والانحطاط المعاصر الذي يعيشه العرب حالياً.

(2) المرجع السابق، ص150.

(3) الجابري، محمد عابد. **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص26 ـ 27.

متنوع الأطوار، وذلك إلى درجة أن تاريخ المشروع النهضوي العربي كان جزءاً لا يتجزأ من تاريخ العالم خلال هذا القرن»[1].

هنالك من يتحدث عن مراحل أربعة مرّت بها علاقة العرب بالغرب بالقول: «لقد عرف العرب الغرب من خلال نهضته وطمعه، تقدمه وسطوته، حضارته وامتداده الاستعماري، وكنا في حالة تخلف وانحطاط وتدهور، فأُعجبنا بأحد مظهريه السابقين وانبهرنا، ورفضنا المظهر الثاني وخفنا منه وتحديناه. إنها الإشكالية المزدوجة التي كانت وما تزال بيننا وبين الغرب، نحن نطمح أن نأخذ بأسباب النهضة الأوروبية، وهو لا يسمح في ظل الازدواجية أن نأخذ بذلك إلا ضمن شروط وحدود، وأهمها شرطان رئيسان: أولهما: أن يظل العرب في حالة تمزق وافتراق، كيانات قطرية وأقاليم وربما كانتونات، وألا يعملوا على إقامة أية وحدة أو مشروع ينهض بهم إلى أفق العصر كأمة. وثانيهما: أن يبقوا في ظل الحماية والتبعية؛ أي أن يظلوا مرتبطين بسوق المركز ولا يطمحون إلى أكثر من سوق استهلاكية لمنتجات الغرب وسلعه [. . .]. ويستطيع الباحث بدءاً من الحملة[2] أو في أعقابها، حتى نهاية القرن التاسع عشر؛ أي طوال قرن كامل تقريباً، أن يميز بين أربع فترات أو مراحل لعلاقة الشرق بالغرب، عكستها مواقف العلماء والكتّاب والمؤرخين وآراؤهم التي بثّوها هنا وهناك.

المرحلة الأولى: وامتدت من الحملة إلى ما بعدها بقليل، وسأسميها بمرحلة الانبهار، ويمثّلها الجبرتي [. . .]، وكشفت هذه المرحلة أمرين بالغي الخطورة سيظلان هاجس المستعمِر والمستعمَر، هما مدى التقدم الذي أحرزه الغرب، ومدى التخلف الذي وصل إليه الشرق.

المرحلة الثانية: وامتدت طوال الربع الثاني من القرن، وسأسميها بمرحلة الإعجاب، ويمثّلها الطهطاوي [. . .] وأكّدت هذه المرحلة في جملة ما أكّدت، حاجة الشرق إلى الغرب.

المرحلة الثالثة: وانسحبت على الربع الثالث من القرن، وسأسميها بمرحلة

---

(1) الجابري، محمد عابد. **المشروع النهضوي العربي**. مرجع سابق، ص12 ـ 13.

(2) يقصد بالحملة: الحملة الفرنسية على مصر أيام نابليون بونابرت.

المقارنة أو الموازنة، ومثّلها علي مبارك [. . .] وأكّد في هذه الموازنة، ما أكّده الطهطاوي من حاجة، وما أكّده من قبله الجبرتي من تقدم.

المرحلة الرابعة: بدأت مع بداية الاستعمار البريطاني لمصر واحتلاله أرضها، وانسحبت على الربع الأخير من القرن الماضي، وربما على النصف الأول من القرن العشرين، وسأسمي هذه المرحلة بمرحلة التخوف من الاستعمار من جانب، والبحث عن هوية للأمة من جانب آخر. ويمثّل هذه المرحلة أبلغ تمثيل، العلمان النهضويان، الأفغاني ومحمد عبده. لقد حاول الرجلان ـ وهما أبناء مدرسة واحدة ـ أن يُعيدا النظر على أسس إصلاحية تنطلق من ماضينا التراثي، ثم الانفتاح بعد ذلك على الغرب. فالماضي التراثي يحفظ للأمة هويتها وخصائصها وتماسكها، والانفتاح على الغرب يشدّ الأمة إلى العصر حتى تعيشه. وتلك هي الإشكالية التي ما نزال نكابدها حتى اليوم، إشكالية الأصالة والمعاصرة، والتي تجلت تحت أسماء وعناوين مختلفة»[1].

في حين يذكر آخرون أربع مراحل مرّت بها الأمة العربية في علاقتها بالغرب الأوروبي، لكن من زاوية أخرى. وهذه المراحل هي:

«1 ـ مرحلة تطويق أقطارها وعزلها، وتدمير إمكانات التواصل بينها.

2 ـ مرحلة التغلغل الشامل وفرض التبعية الشاملة.

3 ـ مرحلة الهيمنة العسكرية للتهيئة لبناء أجهزة التغيير باتجاه إعادة بناء الأمة.

4 ـ ثم مرحلة الإذابة التامة والإدماج الشامل المحكومة بعلاقات التبعية الشاملة للنظام العالمي المنبثق عن اتفاقية «سايكس بيكو» ثم النظام العالمي الذي انبثق بعد الحرب العالمية الثانية، ثم النظام العالمي الجديد»[2].

الغرب في وجدان المثقف العربي هو «تعبير عن توجّه فكري ونظري إلى الحياة، وطريقة في معالجة القضايا الحاسمة، أكثر مما هو تعبير عن تحديد

---

(1) اليافي، نعيم. «النهضة الأوروبية وعلاقتها بالعرب». دراسات عربية. **مجلة دراسات عربية**، السنة التاسعة والعشرون، عدد 5، 6، ص30 ـ 32.

(2) العلواني، طه جابر. «آفاق التغيير ومنطلقاته: الأزمة الفكرية ومناهج التغيير في الواقع العربي»، **مجلة الاجتهاد**. عدد 24، ص208.

جغرافي أو مكاني. الغرب، عند المثقف العربي، هو «الآخر»، هو ما لنا «نحن» عليه»[1]. وقد بلغ التأثير الحضاري للغرب على العرب أن كل الفصائل والتيارات العربية، على اختلاف انتماءاتها، تشترك في شيء واحد، هو الانشغال بالغرب، فجزء مشغول بالإعجاب به والانبهار والتقليد والتقديس، وجزء آخر مشغول باحتقاره ورفضه ومقاومته والتقليل من شأنه[2]. بل إن «النهضة العلمية والبحثية في بلادنا في القرن 20 [. . .] متأثرة بالدرجة الأولى بنوعية الازدهار والنهضة العلمية والبحثية في الغرب في تلك القرون (16 ـ 19)»[3]. وعندما رأى المثقفون العرب تخلف العالم العربي عن أوروبا وخضوعه لهيمنتها، دفعهم ذلك منذ بداية النهضة العربية إلى إرادة التقدم للمجتمع العربي عن طريق جعل مفهوم التقدم الأوروبي معياراً لكل قراءة وتأويل، بل ومعياراً لكل حلم وصراع[4].

وقد أثّر الغرب ونموذجه على العرب وعلى مثقفيهم، نظراً لبساطة النموذج المعرفي الحضاري والعقلاني الأوروبي وجاذبيته، مما جعل جميع المشاريع النهضوية العربية تحاول اللحاق بالغرب، وهذا يتضح أكثر ما يتضح في التيارات العلمانية الليبرالية العربية والشيوعية والاشتراكية (اليسارية) العربية[5]. فالمواقف العربية من الغرب وحضارته هي مواقف متناقضة[6]: إذ الاتجاه التراثي يرى أن الحضارة العربية لا تكون إلا بانفصالها عن الحضارة العالمية (الغربية) وارتباطها بالذاتية الإسلامية؛ في حين أن الاتجاه القومي يعتقد أن الحضارة القومية العربية لا يمكنها أن تنفصل عن واقع الحضارة العالمية (الغربية)[7].

يتحدث بعض المفكرين بشكل مفصّل عن المواقف العربية تجاه الآخر (الغرب) وهي:

---

(1) العلوي، سعيد بنسعيد. «المثقف العربي واستراتيجيات التنمية»، **مجلة الوحدة**. عدد 66، ص79.

(2) فهمي، ممدوح عبد الحميد. **إشكالية التحيز**، موضوع: «الانحياز الحضاري الغربي في النماذج الرياضية العددية»، ج1، ص612.

(3) المرجع السابق، ص621.

(4) بنيس، محمد. **الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها** (مساءلة الحداثة 4). ص169.

(5) المسيري، عبد الوهاب. «إشكالية التحيز»، موضوع: «فقه التحيز»، ج1، ص33 ـ 36.

(6) الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة**. مرجع سابق، ص322.

(7) الجباعي، يوسف. «ثقافة الطفل العربي»، موضوع: «إشكالية الأصالة والهوية»، ص123.

«ـ الاتجاهات المدعّمة للغرب والمساندة للدعوة إلى الانخراط في مشروعه الثقافي والحضاري، وذلك بدعوى شمولية وعالمية هذا المشروع وتأكيده المتواصل لإنسانيته ونجاعته التاريخية، وبدعوى ضرورة التحلّي بالواقعية واختصار الطريق إلى التنمية والحداثة أيضاً.

ـ الاتجاهات المناهضة للغرب استناداً إلى اختلافه وتميزه، فكراً وقيماً اجتماعية وممارسة حضارية [...].

ـ الاتجاهات التوفيقية التي اختارت استراتيجية التموقع بين «الاتجاهات التحديثية» والاتجاهات «الخصوصائية»، داعية إلى التوفيق والمكاملة بين مقتضيات الحداثة كمنتوج غربي بالأساس، ومتطلبات الحفاظ على الهوية الذاتية الوطنية أو القومية. وبالرغم من كون هذه الدعوة إلى التلفيق، قد اجتذبت فعاليات متباينة ـ لمراهنتها على الجمع بين أهم المقومات الإيجابية للذات وللآخر في آن ـ فإن العديد من التجارب التي سارت في هذا الاتجاه، والتي قادها بعض النخبات الاجتماعية من ساسة ومثقفين وبيروقراطيين، قد وقعت في التلفيق والمراكمة أحيانا بين عدة متناقضات، وأحيانا في التقليد الفج، أو الدوران في المتاهات المفرغة»[1].

وأصبح الفكر العربي يدور بين ثلاثة أساليب في التعامل مع مكتسبات فكر الأنوار (الغرب). وهذه الأساليب هي: الأسلوب التغريبي، الداعي لاستيعاب فكر الأنوار، باعتباره فكراً مطابقاً لمتطلبات اللحظة العربية الراهنة، وكوسيلة من وسائل بلوغ عتبة الحداثة؛ والأسلوب الرافض لفكر الأنوار بمختلف صيغه؛ والأسلوب الداعي لإعادة إنتاج فكر الأنوار واستعادة جوانب متعددة منه اليوم، في إطار تدعيم العقلانية والحرية والتقدم في الفكر العربي. وهذه الاستعادة الجديدة تتميز بتقليص المحتوى الإيديولوجي الظرفي لمصلحة الوقوف على الروح الفلسفية الثاوية خلف البيانات الإيديولوجية المتحمسة للأنوار. ويبدو أن هذا الأسلوب هو المطلوب حالياً، شريطة حضور العامل النقدي[2].

---

(1) محسن، مصطفى. «حول الأبعاد السوسيو أنثروبولوجية للمسألة اللغوية وإشكالية التنمية والحداثة»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 214، ص54 ـ 55.

(2) عبد اللطيف، كمال. **قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة**. مرجع سابق، ص41 ـ 56.

فتمحورت الفرق العربية تجاه الغرب وحضارته في ثلاثة هي: فريق انبهر بالغرب (المحتل) وما يمثله من قوة وتنظيم وقيم وسلوك، فقام بالدعوة للإقتداء به؛ وفريق نادى بالانغلاق ورفض الحضارة الغربية مهما كانت إنجازاتها نافعة، وأصرّ على الاكتفاء بما كان عليه الآباء والأجداد من أنماط التفكير وأساليب التدبير، وهذا الموقف مناف لناموس الحياة؛ وفريق اتجه لتبني التجديد، ودعا لإحياء الاجتهاد وتأصيل القضايا والمشكلات والتماس الحلول في إطار الإسلام دون تعصب أو انغلاق أو تبعية وذوبان[1]. لذلك، هناك مطالبة بتحديد الموقف الحضاري الحالي من الغرب وحضارته، نظراً لأن التخلف الذي تعاني منه الأمة إنما يرجع، من ضمن ما يرجع إليه، إلى تقبّلها عن وعي أو غير وعي لمظاهر الحضارة الغربية، ورضاها بالتبعية والتقليد لها؛ وإلى ارتباك رواد الفكر في الأمة في تحديد الاتجاه الذي ينبغي اتخاذه حيالها[2].

الخلاصة: «الغرب» وحضارته شاغل رئيسي من شواغل الفكر العربي والمفكرين العرب. وقد رأى المفكرون العرب أن بداية العلاقة العربية بالغرب، كانت وما زالت، علاقة قوة وصراع وتسلط وهيمنة من قبل الغرب على العالم العربي، باستعماره واستغلاله والعمل على استمرار تبعيته. وعلى الرغم من ذلك، فقد اختلفت آراء المفكرين العرب، والتيارات الفكرية النهضوية العربية، بشأن الغرب وحضارته إلى مواقف ثلاثة، هي: موقف الرفض، وموقف القبول، وموقف التوفيق.

رابعاً: نماذج القطع والوصل مع الغرب وحضارته

ينحو المفكرون العرب منحيين في التعامل مع «الغرب»؛ أحدهما: يدعو للقطع معه، والآخر: يرى ضرورة القطع والوصل معه.

يعتبر المفكرون الذين يدعون للقطع مع الغرب أن الموقف الذي يقوم على

---

(1) بها، عبد الله. **سبيل الإصلاح**. مرجع سابق، ص7 ـ 9.

(2) الحسني، محمد بلبشير. ندوة: «الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية: الأخذ والعطاء»، موضوع: «أي وجهة للثقافة الإسلامية؟»، ص131 ـ 132.

الميلاد، زكي. «مقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر»، **مجلة الكلمة**. عدد 7، ص33.

تبني نمط التنمية الغربية، والذي يتصور إمكانية تحقيق أهداف التنمية الغربية في المجتمعات العربية والإسلامية عن طريق تقليد مجتمعات الغرب الصناعي، لن يؤدي بهذه المجتمعات إلا إلى تكريس تبعيتها الاقتصادية والسياسية والحضارية للغرب. ويمكن تمثيل ذلك على الشكل التالي: تبنّي نمط التنمية الغربي ← الوقوع في حالة انبهار بكل ما ينتجه الغرب وما يبدعه من أساليب للحياة. والتبعية الحضارية للغرب ← فقدان الثقة بالنفس ← الشعور بالدونية الحضارية[1]. فمن الواجب تبنّي الموقف المتجاوز للتمحور الأوروبي حول الذات؛ لأنه الطريق الحقيقي للازدهار والتقدم، ولأن تبنّي النموذج الغربي للتنمية ما هو إلا نتيجة لفقدان الثقة بالنفس بالمعنى الحضاري[2]. وقد أدّى تبنّي نموذج التنمية الغربي في المجتمعات العربية والإسلامية «إلى ترسيخ علاقات تبادل غير متكافئة، تحولنا بمقتضاها إلى «زبائن» لكل ما تنتجه الحضارة الغربية من سلع استهلاكية [...]. لم يكن التغيير يجري من خلال التطوير الذاتي للناس، ومن خلال وعيهم ومشاركتهم، بل كان التغيير نوعاً من الإحلال أو الإزاحة لكل ما كان قائماً من نتاج البناء الحضاري الأم، مما أدى إلى تعطيل الكثير من الوظائف الحضارية، وما أدى إلى تفكك وتحلل النسيج الاجتماعي الحضاري للمجتمع»[3].

الحياة في ظل النموذج الغربي للتنمية في المجتمعات العربية والإسلامية ما هي إلا تدريب مستمر على الاغتراب، يؤدي إلى التفكك المستمر للمجتمعات المحلية في المنطقة، تحت تأثير الأنماط التكنولوجية الغربية الدخيلة. وما يعنيه إتباع نموذج التنمية الغربي؛ أولاً: القبول بصيغة التحديث الغربي كما هي، والقبول بمؤسساته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبأساليب حياته، مهما كانت التكلفة الاجتماعية والحضارية والبيئية المرتبطة بذلك. وثانياً: جعل دول الغرب الصناعي في موضع القدوة والنموذج الذي يُحتذى دون منازع؛ أي الوقوف تجاه الحضارة الغربية موقف التابع، وليس الطالب. وهناك اختلاف كبير بين الموقفين: موقف الطالب هو موقف طارئ محدد بفترة زمنية، ومن الطلبة من

---

(1) الموصلي، حامد إبراهيم. **إشكالية التحيز**، موضوع: «تأملات عن التكنولوجيا والتنمية من منظور حضاري»، ج1، ص750.

(2) المرجع السابق، ص754.

(3) المرجع السابق، ص760.

يتفوق على أساتذته، لكن موقف التابع هو موقف يفترض الديمومة. فالضرورة ملحة للتخلي عن محاولات إتباع نموذج التنمية الغربي، ذلك أن هذا النموذج غير مرغوب فيه؛ لأنه مرتبط عضوياً بصيغة التحديث الغربي التي تنطلق من رؤية للوجود تضع الإنسان في مركز الكون، وتقصر الحياة على الحياة الدنيا فقط. كما أن هذا النموذج غير متوافق مع المحيط الحيوي، سواء من ناحية استغلال الموارد الطبيعية أو تلويث الطبيعة، ويفتقد الشروط الضرورية لبقائه وإعادة إنتاجه[1]. فالنهضة المطلوبة للأمة العربية تختلف اختلافاً جذرياً عن النهضة التي حدثت في الغرب، في الوسائل والغايات؛ ونموذج التحول الحضاري الغربي غير مرغوب أو صالح لهذه الأمة لأنه لا يتسق مع المبادئ الحاكمة لها، ولا مع قيمها الحضارية الأساسية، ولا حتى مع البيئة[2]. من هنا، تأتي ضرورة تميز الأمة العربية عن الغرب، باعتبار ذلك أحد أوجه استقلالها الحضاري[3].

توجد دعوة ملحة إلى فك الارتباط مع مفاهيم وإيديولوجية الغلبة الفكرية الغربية كسبيل لمعالجة إشكاليات التحديث والتنمية والتأخر والتخلف في العالم العربي[4]. ولا بدّ، في هذا السياق، من «البحث المبدع الخلّاق عن نموذج للتغيير يختلف عن نموذج الغرب [. . .]. ذلك أن هذا النموذج، والذي تبنته النخب الحديثة في طروحاتها ومشاريعها [. . .] هو نموذج غير صالح أو مرغوب؛ لأنه غير قابل للتكرار. ذلك أن نجاحه في أوروبا، كان مشروطاً بظروف تاريخية ـ مجتمعية داخلية، ورهن ظروف خارجية تمثلت في الاستعمار. إن هذه الشروط التكوينية للنموذج الغربي لا يمكن أن تتكرر»[5]. فتقليد الأمة للغرب وسيرها على نفس الخطى التي سلكها، لن يؤدي للإبداع أو بناء حضارة، إذ لا إبداع مع التقليد[6]. وهذا التقليد الأعمى للغرب في المخططات التنموية العربية هو من

(1) المرجع السابق، ص766 ـ 769.
(2) المرجع السابق، ص772.
(3) المرجع السابق، ص782.
(4) إسماعيل، فادي. **الخطاب العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص7، 17 ـ 18.
(5) المرجع السابق، ص164 ـ 165.
(6) المنجرة، المهدي. **الحرب الحضارية الأولى**. مرجع سابق، ص107.

الظواهر الدالة على تخلف الأمة العربية[1]، بل إن هناك من يذهب إلى رؤية أنه لا فائدة حتى من التعاون الثقافي مع الغرب، على اعتبار أن ذلك لن يؤدي بالأمة لتنمية حقيقية، بل سيجعلها تشتري منه دون أن تعمل على تطوير الأشياء داخل بلدانها أو أن تقوم بتسطير برامج تنموية مبنية على حاجاتها الحقيقية[2]. و«قد أصبح من المعترف به اليوم، أن فشل نماذج التنمية التي نهجها العالم الثالث، يعود بالأساس إلى التقليد الأعمى لنماذج التنمية الغربية»[3].

إن تحقيق المجتمعات العربية والإسلامية لطموحاتها في الحياة غير ممكن إلاّ بالتحرر الكامل من كل هيمنة أجنبية، مهما كان نوعها ومستواها، إذ بدون هذا التحرّر ليس هناك مستقبل حقيقي للأمة[4]. ويوجد تحذير قوي من التعلّق بالنموذج الغربي؛ لأنه لن يقدّم حلاً لمشاكل الأمة ولا لتأخرها[5]. وقد أدى الانبهار بالغرب وتقليده إلى تعطيل مكامن الإبداع في فكر الأمة، وتجميد حاسة التفاعل المجدي والمثمر مع الواقع[6]. وكان من نتائج استيراد الأمة للأفكار الغربية، تفكيك الأمة ثقافياً واجتماعياً وحضارياً[7]. ويُعزى فشل خطط التنمية العربية لإنبناءها على الظروف الخاصة بالمجتمعات الأخرى (الغربية)[8]. من هنا، تأتي الدعوة إلى التخلص من ربقة النظريات السائدة عن التنمية؛ لأنها نظريات غربية بالأساس، ولأنها لم تؤدّ بالأمة العربية إلاّ للمزيد من التبعية للغرب وزيادة لهيمنته عليها؛

---

(1) المرجع السابق، ص281 ـ 284.

(2) المرجع السابق، ص135 ـ 136.

(3) المنجرة، المهدي. **حوار التواصل**. ص43.

(4) المنجرة، المهدي. التقرير الختامي لندوة قضايا المستقبل الإسلامي في: الحرب الحضارية الأولى، ص296.

(5) المرسلي، عبد الحميد. «من الشخصانية إلى الغدية»، عدد 3. فاس: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد عبد الله، ص52.

(6) الجراري، عباس. ندوة: «الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية: الأخذ والعطاء»، موضوع: «الثقافة الإسلامية ومدى تفاعلها مع الثقافات الأخرى ماضياً وحاضراً»، ص40.
حرب، عليّ. **أوهام النخبة**. ص122.

(7) الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (1)**. ص97.

(8) يوسف، يوسف إبراهيم. **إنفاق العفو في الإسلام**، مرجع سابق، ص11.

فالتخلص منها مدخل حقيقي لمعالجة مشكلات تخلف الأمة[1].

إن وضع حدّ لتخلف الأمة إنما يكون باستعادتها السيطرة على حياتها وتاريخها ومواردها، ثم بمباشرة الإنتاج كي لا تبقى مجرد موارد خام للبلدان المنتجة ومحض أسواق لبضائعها الاستهلاكية. وبداية التحرر هذه إنما تحصل برفض الأمة لعلاقات السيطرة والتعالي والقهر والاستغلال التي تمارسها عليها المجتمعات الغربية المتقدمة[2]. فالخضوع لمراكز القرار الغربية، فكراً وممارسة، ما هو إلا تكريس لتبعية الأمة وتخلفها[3]، كما أن الانحياز المنهجي للحضارة الغربية سيؤدي لإجهاض مشروع نهوض الأمة[4]؛ لأن «مقاربة الذات من موقع الآخر (وبأسلوب موقع الباحث الأجنبي وأسلوبه)، تؤدي بالضرورة إلى تبعية فكرية يصعب التغلب عليها»[5]. وحفظ الذات من زحف النموذج الحضاري الغربي، إنما يكون بالقيام بما قام به الأجداد، إذ أعادوا تأسيس علومهم، حين اصطدموا بالنموذج اليوناني، وفق الشروط التي تحفظ لهم هويتهم وكيانهم[6].

لا أرى أن المفكرين السابقين يعتقدون بضرورة القطع مع الغرب وحضارته قطعاً شاملاً ونهائياً، بل ما يقصدونه هو القطع مع الجوانب السلبية فيه وفي حضارته. ولذلك يوجد عدد كبير من المفكرين الآخرين الذين لا يكتفون بذكر جانب القطع فقط، بل ويضيفون جانب الوصل أيضاً مع الغرب وحضارته في بعض الجوانب، وذلك نظراً لأن «جميع تيارات التجديد في الفكر العربي منذ القرن الماضي إلى اليوم، سواء الدينية منها أو الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية، كانت ولا تزال، ترتبط بنوع من العلاقة، مع الفكر الأوروبي الحديث والمعاصر، علماً وفلسفة وأدباً وإيديولوجيات: علاقة تتراوح بين الاستلهام والاقتباس والتبنّي

---

(1) هرصلاني، عماد. «نظريات التنمية ومأزق الخطاب الإيديولوجي»، **مجلة الوحدة**. عدد 75، ص78 ـ 86.

(2) صبّاح، دلال عباس. «حقوق المرأة في الإسلام بين النظرية والممارسة»، **مجلة المنطلق**. عدد 90، 91، ص182.

(3) مقابلة مع: محسن، مصطفى. **مجلة المستقبل العربي**. عدد 178، ص128.

(4) بدران، راسم. **إشكالية التحيز**، موضوع: «العمارة والتحيز»، ج1، ص467.

(5) شرابي، هشام. **النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين**. مرجع سابق، ص92.

(6) بوقربة، عبد المجيد. **الحداثة والتراث**. مرجع سابق، ص5 ـ 6.

obeikandl.com

الجزئي أو الكلي، وبين التحفظ والرفض والمقاومة»[1]. فليس هناك أي حرج في الاقتباس عن الغرب، بل إن هذا الأمر من ضرورات التقدم. لكن تجدر الإشارة إلى أن هذا الاقتباس لا بدّ له من ضوابط تحكمه أهمها: تبيئة ما يتم اقتباسه من الغرب ليتواءم مع البيئة العربية، وبذلك التواؤم يمكن تحقيق التجديد في الثقافة العربية. وليس من الواجب قطع جميع المراحل التي قطعها الغرب في مسيرة تطوره، بل المطلوب الارتباط مباشرة بآخر مراحل التقدم التي مرّ بها[2].

والواجب يحتّم أن يكون معيار الاختيار في الثقافة المعاصرة (وفي الثقافات الماضية أيضاً) التمييز في فكر الغرب بين ما يخدم التقدم ويسير في اتجاه تطور التاريخ، وبين ما يخدم الواقع الاستغلالي والهيمنة الإمبريالية أو القومية العرقية[3]. ومن الضروري كذلك القيام بالنقد المتواصل للآخر (أيّاً كان هذا الآخر)، بالإضافة لنقد الذات؛ كشرط ضروري لتجديد العقل العربي وتحديث الفكر العربي وتغيير الوضع العربي الذي يعني كسر قيود التقليد وقطع خيوط التبعية، وهذا كله كفيل بتحقيق «الاستقلال التاريخي للذات العربية»[4] والذي تتجلى أهميته في كونه شرط للنهضة وعلامة عليها في آن واحد؛ وأنه مرتبط بالتحرر من الآخر (الفكر الأوروبي) والتحرر من التراث. وهذا التحرر يعني امتلاكهما معاً بعد القيام بالفحص النقدي لهما[5]. ذلك أن علاقة الفكر العربي النهضوي بالفكر الأوروبي الحديث والمعاصر إنما هي علاقة تبعية، فما إن يخرج من أوروبا مفهوم أو نظرية إلاّ ويتلقّفها الفكر العربي ويبني عليها تطلعاته وطموحاته النهضوية، وكان الواجب إزاء تلك الأفكار والنظريات والنظم والمؤسسات الأوروبية هو تبيئتها محلياً واستنباتها في التربة العربية. فبدون ذلك، لا يمكن لتلك الأفكار والنظم أن تتحول لمحرك للتغيير أو تعمل على التجديد أو تؤسس للتقدم[6].

---

(1) الجابري، محمد عابد. **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص74.

(2) المرجع السابق، ص184 ـ 186.

(3) الجابري، محمد عابد. **التراث والحداثة**. مرجع سابق، ص40.

(4) المرجع السابق، ص60.

(5) المرجع السابق، ص286 ـ 287.
الجابري، محمد عابد. **الخطاب العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص204 ـ 206.

(6) الجابري، محمد عابد. **وجهة نظر**. مرجع سابق، ص128 ـ 131.

إن «المنحى الذي حاول أصحابه، اقتفاء النموذج الغربي في النهضة، قد ثبت فشله على مستوى الصياغة الحضارية للشخصية العربية المسلمة، ولا أدلّ على ذلك من الواقع الحضاري المتخلف الذي نحياه جميعاً، والذي هو النتاج الحقيقي للمذاهب والسياسات التي تستلهم وتقتفي آثار النموذج الغربي في النهضة»[1]، وهذا لا يعني الرفض المطلق للغرب، بل المرفوض هو حلول الثقافة الغربية محل الثقافة الإسلامية، مع اتخاذ الشروط الموضوعية لدفع محاولات الاستئصال الحضاري، وبذلك تتحقق النهضة، منبثقة عن الذات وليس من خارجها[2]. من هنا، لا بدّ من الاحتكاك المنضبط والمبرمج مع الغرب، حتى لا تستمر الأزمة المعاصرة للأمة، إذ كان انعدام هذا الأمر أحد الأسباب لاستفحال هذه الأزمة وتفاقمها[3].

إن اتخاذ الأمة للنموذج الأوروبي كنموذج عالمي عام يمكن أن يُطبّق بمراحله التي تمّ فيها في الخصوصية الغربية على الواقع والعالم العربي من أجل تحقيق نهضته، وأدّى بالأمة إلى تبعية سياسية واقتصادية وثقافية وحضارية[4]. فمن الخطأ اعتبار الغرب ونموذجه هو التطور والتقدم، وأن ما عند غيره من الشعوب الأخرى قديماً وبالياً وغير صالح. فالشعوب لا يمكنها أن تنطلق في طريق النهضة إذا بقيت أسيرة المقاييس الغربية، لكن المطلوب منها وضع مقاييس ملائمة لها، تقوم على أساس تجارب مجموع الشعوب الأخرى لا الأوروبية فقط[5]. فإنجاز التنمية يتطلب استقلالاً سياسياً واقتصادياً عن الآخر، والتخلص من سيطرة الدول الكبرى[6]؛ ذلك أن الغرب يحاول فرض سيطرته الحضارية على الأمة من خلال فرض خصوصية حضارية واحدة، وبتحطيم الأسس العقدية ـ الحضارية ـ الثقافية للأمة وإلحاقها بالحضارة الغربية، مما يجعلها في حالة هجينة غير قابلة للخلاص من

---

(1) الخطيب، سليمان. **فلسفة الحضارة**. مرجع سابق، ص286.
(2) المرجع السابق، ص185 ـ 186.
(3) عارف، نصر محمد. تصدير: العلواني، طه جابر. **الحضارة، الثقافة** المدنية (دراسة لسيرة المصطلح المفهوم) ص10 ـ 11.
(4) شفيق، منير. **قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري**. مرجع سابق، ص81 ـ 82.
(5) المرجع السابق، ص87 ـ 88.
(6) المرجع السابق، ص96.

التبعية والإلحاق؛ ومعالجة إشكالية التنمية في الأمة، إنما تبدأ من إدراك ذلك الأمر[1].

وعلى الرغم من ذلك، فالتنمية بحاجة للاستفادة من الآخرين، كما أنها بحاجة للاعتماد على الذات[2]؛ وإن كان هناك هجوم شديد على النموذج الغربي، ودعوة إلى محاربة النمط الغربي بلا هوادة، على اعتبار أنه لا يصلح قدوة للأمة، ولأنه يهدّد الوجود الإنساني بأشد المخاطر على مستوى العلاقات والأخلاق والقيم والمعايير، كما على مستوى الوجود نفسه[3]. فلا محيص من الوصل مع الحضارة الغربية، بشرط القيام بنقدها لمعرفة ما هو مفيد فيها مما هو ضارّ[4]. وهنا يُلاحظ ذلك الاضطراب والقلق والحذر في تعامل المفكرين مع الحضارة الغربية، وقد يبدو هذا أمراً طبيعياً، نظراً للايجابيات التي تمتاز بها الحضارة الغربية والتي لا يمكن تجاهلها من جهة، وللسلبيات التي تنطوي عليها والتي لا يمكن قبولها من جهة أخرى.

لذلك، يوجد اتجاه ينقد كلاًّ من موقفي القبول المطلق والرفض المطلق للحضارة الغربية[5]، ويدعو للتعمق في «علم الاستغراب» Occidentalism في مواجهة التغريب Westernization الذي امتدّ أثره إلى كل مجالات الحياة العربية[6]. وتتمثل ماهيّة «الاستغراب» في كونها الوجه الآخر والمقابل، بل والنقيض، لـ«الاستشراق». فإذا كان الاستشراق رؤية الأنا (الذات العربية) من خلال الآخر (الغرب)، فإن الاستغراب معاكس لذلك أي رؤية الآخر من خلال الأنا، والقيام بدراسته وتحويله إلى موضوع مدروس. وأهمية «علم الاستغراب» أنه سيعمل على فكّ عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، وسيقضي على مُركّب العظمة لدى ذلك الآخر (الغربي) بتحويله من ذات دارسة إلى موضوع

---

(1) المرجع السابق، ص8 ـ 10.
(2) المرجع السابق، ص102.
(3) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. مرجع سابق، ص33، ص39 ـ 40، ص110 ـ 111، ص114 ـ 115.
(4) المرجع السابق، ص24.
(5) حنفي، حسن. **مقدمة في علم الاستغراب**. مرجع سابق، ص14.
(6) المرجع السابق، ص18 ـ 19.

مدروس، وسيُزيل مُركّب النقص لدى الأنا أمام الآخر (الغرب) بتحويلها من موضوع مدروس إلى ذات دارسة، وسيُظهر موقفاً واضحاً من حضارة الغرب (الأوروبية)، وسيُقيل الثورات الحديثة من عثراتها، وسيعمل على استكمال عصر التحرر من الاستعمار، والانتقال من التحرر العسكري إلى التحرر الاقتصادي والسياسي والثقافي والحضاري، وسيقضي على المركزية الأوروبية /Eurocentrism Eurocentricity، وسيردّ ثقافة الغرب إلى حدودها الطبيعية، وسيُزيل أسطورة الثقافة العالمية التي يجعلها الغرب مرادفة لثقافته وأن على كل شعب أن يتبناها لينتقل من التقليد إلى الحداثة، وسيمحو فكرة ثنائية المركز والأطراف على مستوى الثقافة والحضارة، وسيُعيد التوازن للثقافة الإنسانية، بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الأوروبي والكفة المرجوحة للوعي غير الأوروبي[1]. فالاستغراب المطلوب «ليس فقط مجرد نقيض الاستشراق أو الاستشراق المضادّ أو الاستشراق معكوساً. هو رد فعل على التغريب، ومحاولة انتشال الأنا الحضاري من الاغتراب في الآخر»[2]. ذلك أن التعامل مع الآخر (الغرب)، يجب أن يكون أولاً: بالتحرر من الآخر الأوحد (الغرب)، وثانياً: بإيجاد ميزان للتعادل بين الآخرين الغربي والشرقي الجنوبي، حتى لا ينحاز القلب إلى الآخرين، وحتى يستطيع القلب أن يستقبل ريح الشرق التي تهب عليه[3].

يذكر آخرون مصطلح «الاستغراب»، ويعنون به: محاولة استملاك الغرب وتجربته التاريخية الثورية، واستيعاب ذلك نقدياً من أجل تخطّيها، ثم المشاركة في صنع البديل التقدمي للنظام الرأسمالي العالمي. وهذا الاستغراب (والذي يمكن أن يُسمى المثاقفة الاستغرابية) يهدف لبناء عقل «حركة التحرر القومي العربية» التي هي حركة الجماهير العربية في سبيل التحرر والتقدم، فهو جهاز نهضوي يعمل على تحرير الأمة العربية من ربقة الغرب، عن طريق استملاك أدوات تقدمه بمعاناة تراثه (الأوروبي)، مما يؤهل الأمة لدخول العصر الحديث وفهم الواقع المعاصر؛ وفي المقابل، فالعجز عن القيام بـ«عملية الاستغراب» سيحول بين الأمة وبين دخول

---

(1) المرجع السابق، ص23 ـ 33، ص39 ـ 43.
(2) المرجع السابق، ص48.
(3) المرجع السابق، ص553.

العصر، كما سيحول دون امتلاكها لأدوات تقدمها وتحررها. و«الاستغراب» الذي يطالبون به لا يعني عملية استعادة للذات أو عودة إليها، بل عملية تفجير لها وتحطيم للقيود المكبلة لعقل حركة التحرر القومي العربية، وبناء للذات العصرية الجديدة على أنقاض الذات الحاضرة الملجومة المغتربة. وهذا «الاستغراب» نقيض للاستغراب الذي سبق ذكره والذي يدعونه «استغراب السلفية»[1]. والملاحظ على هذه الفكرة هو تأثرها بالغرب وميلها ناحيته، واتخاذه نموذجاً يُحتذى.

ولقد نشأ في العالم العربي منزع إصلاحي يتميز بطابعه التغريبي الليبرالي، حيث دعا أعلامه لمحاولة التعلم من النهضة الأوروبية درس الحداثة والتقدم لتجاوز التأخر السائد[2]، وهناك مطالبة بالتعلم من درس المعاصرة الغربية، على اعتبار أن ذلك لا يعني التبعية أو الغزو الثقافي، بقدر ما يعني ممارسة حق تاريخي[3]. لكن في المقابل، يُلاحظ الرفض للنظرية الغربية في التنمية؛ لأنها إنما تعني بالتنمية اكتساب قيم وخصائص وتكنولوجيا الغرب، وبأنه لا مناص للشعوب النامية من أن تتبنّى النموذج الغربي للتنمية إذا ما أرادت تحقيق التنمية. فهذه النظرية تؤكد التبعية التكنولوجية والثقافية، ولا يعني تبنّيها إلاّ تحطيم الثقافة القومية وطمس الهوية العربية[4].

وعلى الرغم من ذلك، فهذا الرفض، لا يعني الانفصال الكلّي عن الغرب، بل فحص نماذج التنمية الغربية ومدى ملاءمتها للوضعية العربية[5]؛ لأن «الحديث عن عيوب النموذج الغربي، وفشل التجارب التنموية المستمدة منه، لا يعني إطلاقاً، الدعوة إلى الانغلاق. ولكن ما تقصده المحاولات النقدية: هو أنه لا بدّ من هذا النموذج، وتحاشي إفرازاته السلبية، فهناك فرق بين الاستفادة من الآخرين، وبين الانبهار والتقليد»[6]. وإذا كان البعض قد أرجع سبب ما يعانيه

---

(1) غصيب، هشام. «الثقافة الاستغرابية ودورها في بناء الفكر النهضوي العربي»، **مجلة الآداب**. عدد 1، السنة 41، ص21 ـ 27.

(2) عبد اللطيف، كمال. **مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص19 ـ 20.

(3) المرجع السابق، ص68.

(4) عبد العليم، عفاف. **التنمية الثقافية**. مرجع سابق، ص290 ـ 291.

(5) المرجع السابق، ص39 ـ 40.

(6) المرجع السابق، ص55.

العرب اليوم من خراب ودمار، إلى التطبيق الإكراهي للنموذج التنموي والحضاري الغربي المخالف للبيئة العربية[1]؛ إلا أنهم، مع ذلك، لا يرفضون حضارة الغرب، بل هم ضدّ مظاهر الخلل الموجودة فيها؛ وضدّ اعتبار الغرب مركزاً والآخرين مجرد أطراف ولواحق؛ وضدّ تفكك الأسر وانهيار العلائق القيمية والاجتماعية؛ وضدّ البذخ وتبذير الطاقات المتجددة وغير المتجددة؛ وضدّ الإسراف؛ وضدّ التلوث. وقد بدأ الغرب نفسه يتضجر من هذه الأمور ويفكر في معالجتها؛ لأنها باتت تُهدّد حضارته بالدمار الشامل[2].

من الطرق التي يذكرها المفكرون للتعامل مع الغرب: الاعتراف بأنه أنتج حضارة فيها جوانب علمية وتكنولوجية وفنية، وفيها قيم إنسانية وفكرية وأدبية لا غنى عنها لأي مجتمع؛ ومن ثمّ تجاوز قشور تلك الحضارة للوصول إلى جوهرها، بالإقدام من جديد على ترجمة الفكر الغربي والعلوم الحديثة، واستيعابها استيعاباً نقدياً، بما يتفق مع القيم والتقاليد والتراث العربي والإسلامي، إذ في الغرب جوانب لا مناص من اقتباسها من حضارته للتخلص من التخلف، وتشمل التكنولوجيا والعلوم الطبيعية والاجتماعية وطرق الإدارة وأساليب التخطيط العلمي؛ وفيه جوانب يحسن الإلمام بها دون نقلها أو اقتباسها بالضرورة، كالتراث الغربي في السياسة والفلسفة والآداب والقانون؛ وهناك جوانب أخرى «محايدة» لا تضرّ معرفتها، كما لا يضرّ الجهل بها، كطرق الأكل وأنواع اللباس ونظم التعامل والتزاور؛ وتوجد جوانب يجب الحذر عند اقتباسها، كفلسفة الإعلان التجاري وظاهرة المنافسة الشديدة القاسية التي تنشر التوتر النفسي؛ وهناك أخيراً، جوانب يجب رفضها رفضاً قاطعاً وتاماً؛ لأنها تتعارض مع كل منطق سليم، كموضوع الأزياء والموضات[3].

الملاحظ أن الدعوة قوية إلى مجاراة الغرب في تطوره الفكري السريع، واستيعاب مفاهيمه ومناهجه وتمثّلها بعمق وروية، كي تصبح جزءاً من البنية الفكرية العربية[4]. فالاستفادة من تجارب الأمم والحضارات الأخرى (بما لا يتعارض مع

(1) جمعية البديل الحضارية. **البديل الحضاري**. منشورات البديل الحضاري (1)، ص18.
(2) المرجع السابق، ص68 ـ 69.
(3) الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة**. مرجع سابق، ص249، ص323 ـ 324.
(4) الدندشلي، مصطفى. «المجتمع المدني في الوطن العربي»، من المناقشات، ص816. =

obeikandi.com

عقيدة الأمة) وهضمها، واختيار المناسب منها، هي أمر ضروري، إضافة إلى الاستفادة من التجارب الإصلاحية السابقة[1]. بل هناك من ينظر للحضارة الأوروبية على أنها كانت الشرارة التي أيقظت الوجدان العربي على ما يعانيه العرب من تخلف، وأظهرت الحاجة العربية إلى الكثير من قيم هذه الحضارة وأفكارها لتعويض ما فات واللحاق بالركب الإنساني المتقدم، مع رفض الوجه السلبي لهذه الحضارة، والمتمثل في عدوانها الاستعماري على الأراضي العربية[2]. وعلى كلّ، فالاعتقاد السائد لدى العديد من المفكرين بأن عملية التجدد الحضاري إنما تتأثر بالاحتكاك بالحضارات الأخرى، وبالتالي فإن الفكر يمكنه أن يستفيد من تفاعله مع فكر الآخر في تنفيذ مشروعه الحضاري[3]. ويعتقد البعض بأن انسياق الشباب العربي وراء التيارات الفكرية والأدبية الوافدة (الغربية بالأساس) أمر طبيعي، بل وصحي، لكل أمة متخلفة تريد الخروج من تخلفها، وتحاول الوصول لمستوى الأمم الراقية المتقدمة[4].

= طرابيشي، جورج. «العرب وامتلاك الحداثة أو آلية التماهي الجزئي مع المعتدي الغربي»، **مجلة الوحدة**. عدد 79، 80، ص20 ـ 28.

الدجاني، أحمد صدقي. «أفكارنا في التغيير»، **مجلة الأكاديمية**. عدد 11، ص76.

التويجري، عبد العزيز بن عثمان. الافتتاحية: «خدمة الحضارة الإسلامية والنهوض بها»، **مجلة الإسلام اليوم**. عدد 13، ص13 ـ 14.

عشقي، أنور ماجد. «الذات العربية: الرؤية والجذور»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5566 (الأربعاء 23/ 2/ 1994م) ص16، عمود 1.

(1) عبد الله، رمضان. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «الحركة الإسلامية ومهام المرحلة الراهنة»، ص336.

غلاب، عبد الكريم. **من اللغة إلى الفكر**. مرجع سابق، ص145.

القادري، أبو بكر. «المجتمع الإسلامي في مواجهة التحديات الحضارية الحديثة»، **مجلة الأكاديمية**. عدد 7، ص129 ـ 130.

البشري، طارق. «حول التأصيل والتجديد في ثقافة المسلم»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5967 (الجمعة 31/ 3/ 1995م) ص16.

(2) سليم، نبيل. «التراث العربي: دروس وآفاق»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 169، ص129.

(3) تقرير أعدّه فريق من أعضاء تجمع المؤتمر القومي، مؤلف من السادة: الدجاني، أحمد صدقي. أحمد، أحمد يوسف. مطر، جميل. كنعان، طاهر. اللواء: مسلم، طلعت. عوض، محسن. حتي، ناصيف. مسعد، نيفين. تقرير «المؤتمر القومي العربي الرابع: حال الأمة عام 1992م»، **مجلة المستقبل العربي**. عددد172، ص94 ـ 96.

(4) الراشد، محمد. **أزمة الفكر العربي**. مرجع سابق، ص145.

obeikandl.com

هنالك دعوة إلى الحوار مع العقلاء في الغرب؛ لأن الغرب يحكم العالم منذ قرون عدة، وحضارته هي السائدة والغالبة في الوقت الحاضر، كما أنه قادر على التأثير في الحكام. لكن لا بدّ لهذا الحوار من الوقوف على أرض صلبة[1]. وهذا الحوار يقتضي وجود نقاط متفق عليها، وأخرى مختلف فيها، وقد يؤدي لاتفاقات على أشياء كان مختلفاً فيها، وإلى تغيير بعض الآراء السابقة. وقد نتج عن هذا الحوار العديد من الإنجازات الحداثية العربية[2]. فالحضارة الغربية جديرة بالقراءة والوعي والتحليل والتشريح، شريطة عدم تقمصها أو عبادتها أو تقديسها[3]، كما لا بدّ من وجود رقابة معرفية وإدارية في الأخذ عن الغرب، إذ إن انبهار الأمة بتقدمه جعلها تأخذ منه دون ضبط، مما عمل على تكريس وضعية تخلفها[4].

وهناك إشارة إلى أمر مهم، يتمثل في إمكانية الأخذ عن الغرب الجانب العلمي في حضارته، دون الجانب القيمي والفكري، إذ يمكن الفصل بين الجانب الفكري والقيمي، والجانب العلمي والصناعي في منظومة الحضارة الغربية؛ واليابان خير شاهد على ذلك، حيث تقدمت بأخذ العلم والصناعة الغربيين دون القيم الغربية، ودون أن تفقد هويتها[5]. بل هناك من يعتقد بأن الحضارة الغربية هي خلاصة الحضارات والأمم السابقة، لذا فالأخذ منها هو أخذ من بناء شاركت الإنسانية كلها في إقامته، إذا تمّ استيعابها وتبيئتها محلياً[6].

يرى بعض المفكرين أن النظرة للحضارة الغربية يجب أن تكون من زاويتين أو مستويين: الأول: أنها حضارة حققت نقلة كيفية في سبيل سيطرة الإنسان على نفسه وبيئته في إطار إنجازات علمية وتقنية، وأنه من الواجب استيعاب أدواتها ومناهجها لأنها تراث إنساني. والثاني: أنها ثقافة قومية تنزع للهيمنة على المستوى

---

(1) القرضاوي، يوسف. **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**. ص172 ـ 183.

(2) عصفور، جابر. **هوامش على دفتر التنوير**. ص79.

(3) حوار مع: فكّار، رشدي. أجرى الحوار في الرباط: هاني، إدريس. «الفكر الإسلامي المعاصر والمشكلات الحضارية»، **مجلة الكلمة**. عدد 12، ص80 ـ 81.

(4) قربال، نور الدين. **إشكالية الديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر**. ص54.

(5) العمري، أكرم ضياء. **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**. ج1، ص51 ـ 52.

(6) الحمامي، منية. «رؤية طه حسين لعلاقة الثقافة العربية بالثقافة الغربية»، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**. المجلد الخامس، ص118 ـ 119.

العالمي، ولذلك يتعين الفصل بين قيمها الإيجابية وبين متطلباتها القومية الأنانية، والحلّ لا يكون بالعزلة، بل بالإنتاج الإبداعي[1]. فالتعامل مع الفكر الغربي يجب أن تضبطه أصول العلم وآداب التفكير النقدي وقواعده، بعد الإحاطة بأصول هذا الفكر ومصادره وتطوراته وتجديداته ومجمل الانتقادات التي وُجّهت له؛ فلا ينبغي أن يصرف الأمة الاهتمام في كيفية امتلاك العلم الغربي ومنجزاته العلمية عن المبادئ ومنهجيات التفكير التي أدت بالغرب إلى إبداع تلك المنجزات. بمعنى، أنه يجب التفكير في امتلاك فكر الإنتاج لا المنتج ذاته، فحين يتم امتلاك المنتج فقط دون فكر إنتاجه، تتحول المجتمعات إلى سوق استهلاكية عاطلة؛ أما حين يتم امتلاك المنهج الفكري للإنتاج، يظهر الإبداع والإنتاج، وتتحول المجتمعات من مستهلكة إلى مبدعة منتجة[2]. لكن توجد فكرة غير مقبولة لدى بعض المفكرين الذين يعتبرون أن الصراع مع الغرب هو «صراع عقلاني أساسه مادي ومصالحي، يتم توظيف الأيديولوجيا والدين في إطاره، كأهداف ثانوية تعزيزية، وليس العكس»[3]؛ إذ لا يمكن التلاعب بالدين من أجل تحقيق مصالح مادية دنيوية، فهو ثابت وغيره هو المتغير.

الخلاصة: يُجمع المفكرون العرب على ضرورة الاستفادة من «الآخر» (الغربي بالأساس)؛ لأن عنده جوانب إيجابية يمكن أن تفيد في تحقيق التقدم العربي، ويشيرون لوجوب القطع مع الجوانب السلبية في حضارة الآخر وفكره، وما يتعارض مع قيم الأمة وعقيدتها وهويتها.

خامساً: الاستعمار وأثره الحضاري

يقصد بعض المفكرين بالاستعمار: ذلك العدوان الآتي من الخارج، عسكرياً

(1) جلال، شوقي. **التراث والتاريخ**. ص214 ـ 215.

(2) بوعزة، الطيب. «فكر الصحوة الإسلامية» (ملاحظات نقدية)، **مجلة رسالة الجهاد**. عدد 90، ص74 ـ 75.

فضل الله، محمد صادق. «الغزو المغولي في واقعيات الشرعية واللاشرعية»، **مجلة المنطلق**. عدد 86، 87، ص154.

(3) البصام، دارم. ندوة: «حرب الخليج ومستقبل العرب»، موضوع: «أزمة الخليج: قراءة أولية للعوامل الداخلية والخارجية»، ص91.

كان أو سياسياً أو اقتصادياً أو فكرياً، أو بعبارة أخرى هو أثر الخارج على الأمة، متى كان هذا الأثر يجري بغير رضاها ولغير صالحها. كما يذكرون «القابلية للاستعمار»، ومعناه الوضع الذي تكون عليه الأمة، من الضعف أو الفقر أو الاضطراب أو الوهن أو الجهل أو التضارب أو غير ذلك، والذي يمكّن من غلبة الغير عليها[1]. وما كان للاستعمار الغربي أن يُحكم سيطرته على الأمة، إلا بعد إبعاد الإسلام عن عقول أبنائها ونفوسهم وثقافتهم ومؤسساتهم، ثم بإعادة صياغة أفكارهم وحياتهم الحضارية ومؤسساتهم على أسس غربية[2].

وهنا يرد تساؤل كان مثاراً منذ بدء الحملة الاستعمارية على الأمة، حول أولوية الأخذ والبدء بمقاومة الاستعمار وإجلائه أم بالأخذ بأسباب النهوض ومعالجة أسباب الضعف في الأمة: «فالقائلون بأولوية الاستعداد لمكافحة الاستعمار، يستندون إلى أن وجود الاستعمار، يُرتّب مجموعة من السياسات التي تُتّخذ لصالح بقائه، فوجوده واستمرار بقائه يُضعف فينا أسباب مقاومته ويقضي على إمكانيات النهوض ضده، أو النهوض لتحقيق أي أمل مرتجى في المستقبل. أما القائلون بأولوية بناء القوة الذاتية وإنضاج أسباب النهوض ومعالجة نواحي الضعف، إنما يستندون إلى أن ضعفنا الذاتي هو الذي سبّب نجاح الاستعمار ضدنا، ونحن لم نستطع أن نقاوم غزوه لأننا كنا ضعافاً، ولأننا ضعاف فلن ننجح في إخراجه، وإذا حدث أن خرج مع بقاء ضعفنا، فسيعاود الكرّة علينا أو يعاودها غيره. وفي ظننا أن هذا الجدل يقوم على خيار خاطئ؛ لأنه يُجرى تمييزاً بين أمرين كلاهما لازم للآخر [...]، ذلك أنهما معاً شرطان للنهوض والتقدم والاستقلال [...] ومتى كان الأمر كذلك، فليس من الصواب أن نطرح سؤالا مفاده أيهما أنفع وبأيهما نبدأ. وعلينا أن نتسلح بالنظرة التكاملية التي تنظر إلى العناصر المتنوعة في تكاملها وليس في تنافرها [...]. والاختيار الصائب هو الاختيار الذي يتلاءم مع ما تتطلبه اللحظة التاريخية ذاتها؛ ومدى ملائمة عنصر ما، إنما تُقاس بمدى تحققه في ظرف معين أو بمدى ما يترتب عليه من أثر مطلوب في هذه اللحظة، فالملاءمة نجد

(1) فتاح، حميد. **الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة وتحدياته**. مرجع سابق، ص256 ـ 257 (في هامش الصفحة).

(2) المرجع السابق، ص200.

حدّيها في الإمكانية، والتوظيف. لذلك فنحن في الحقيقة لا نختار ـ عندما نختار ـ بين بديلين كما لو كانا سلعتين معروضتين في واجهة أحد المحال التجارية، إنما ننظر في الممكن والمؤثّر في اللحظة التاريخية المعنية»[1].

لقد عمل الغرب الاستعماري على إحكام سيطرته على الأمة وتبعيتها له على وجه شامل، وتطلّب ذلك منه ـ إضافة للسيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية ـ ثلاثة أمور هي: التركيز على جانب الغزو الثقافي ـ الحضاري، والتركيز على تجزئة الأمة وتعميقها، وزرع الكيان الصهيوني في فلسطين[2]. والمشاكل الراهنة التي تعاني منها الأمة إنما هي نتيجة للغزو الغربي؛ لذا، فحلّ هذه المشاكل لن يكون إلا بالتحرر من هذا الغزو الغربي ومعالجة الأعطاب الناتجة عنه[3]. وقد كان من نتائج السيطرة الاستعمارية على الأمة، والتي تحققت بالعنف والقهر، أن تمت «السيطرة على الميدان الثقافي والفكري والسياسي، من قبل اتجاه التحديث الغربي والمتغرّب، بأشكاله المختلفة والمتناقضة»[4]. وهذا كله بغرض إقامة حالة لا تسمح للأمة بتحقيق أية تنمية أو نهضة[5]. لذا، فشرط مواصلة عملية تحرر الأمة إنما يكمن في التعارض مع تلك السمات الاستعمارية[6]. والصراعات الدائرة حالياً في العالم العربي والإسلامي في مختلف الميادين، بما في ذلك ميدان التنمية، ما هي إلا استمرار للصراع التاريخي مع الاستعمار[7]. هذا الاستعمار الذي لا يكتفي بالسيطرة السياسية المباشرة فحسب، ولا بالنهب الاقتصادي فحسب، إنما له بعد جوهري ثقافي حضاري، يتجه لتدمير مقومات الشخصية أيضاً[8].

هنالك اعتقاد لدى بعض المفكرين بأن بداية مشكل النهضة في العالم العربي، إنما كانت مع بداية التوسع الاستعماري انطلاقاً من أوائل القرن التاسع

---

(1) المرجع السابق، ص257 ـ 258. ويزيد شرحاً على ذلك: ص259 ـ 267.
(2) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. مرجع سابق، ص8، ص148 ـ 149.
(3) المرجع السابق، ص57.
(4) المرجع السابق، ص82.
(5) شفيق، منير. **الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر**. مرجع سابق، ص68 ـ 104.
(6) المرجع السابق، ص110.
(7) شفيق، منير. **قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري**. مرجع سابق، ص7.
(8) المرجع السابق، ص53.

عشر مع غزو نابليون لمصر، لذا فالاستعمار الغربي من المحددات الرئيسية لإشكالية الفكر العربي منذ عصر النهضة إلى اليوم[1]. وهذا الاستعمار «لم ينته كظاهرة عالمية، بحصول الأقطار المستعمرة على استقلالها، بل لقد بقي وما زال يمارس نفوذه ويكرس اختياراته تحت أسماء جديدة، تارة بالقوة، وتارة بالضغط والخنق، وتارة عبر «توجيهات» المؤسسات الدولية التي يتشكل منها النظام الدولي الراهن»[2]. ويعمل الاستعمار على نشره ثقافته في العالم العربي وإلغاء الثقافة العربية، ليصبح العرب تابعين له تبعية حضارية كاملة[3].

وقد قرّر الغرب الاستمرار في سياسته الاستعمارية، ليس على الطريقة العسكرية والاقتصادية والسياسية فقط، ولكن أيضاً عبر الهيمنة الحضارية والثقافية[4]. وقد يمتد الاستعمار لمستقبل الأمة العربية عن طريق إتّباع الدراسات والسيناريوهات التي يرسمها الآخرون[5]. ونشوء الظاهرة الاستعمارية في الأمة هو نتيجة طبيعية لقابليتها للاستعمار وللفراغ الحضاري الذي تعيشه[6]. وأدى تدخل الاستعمار في شؤون الأمة إلى إعادة إنتاج أوضاع التبعية والتخلف، وخلق الشروط الموضوعية لذلك؛ ولذا، فالرابط قوي ما بين التخلف والتبعية والاستعمار[7].

يُرشد بعض المفكرين إلى بعض الممهّدات والأسس التي يقوم عليها

---

(1) الجابري، محمد عابد. **التراث والحداثة**. مرجع سابق، ص103.
(2) الجابري، محمد عابد. **المشروع النهضوي العربي**. مرجع سابق، ص140.
(3) الجابري، محمد عابد. «هوامش حول الاختراق الثقافي (2)»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5563 (الأحد 20/ 2/ 1994م) ص16، عمود 2.
(4) المنجرة، المهدي. **الحرب الحضارية الأولى**. مرجع سابق، ص112.
(5) المرجع السابق، ص281 ـ 282.
(6) يتيم، محمد. **العمل الإسلامي والاختيار الحضاري**. مرجع سابق، ص46.
(7) محسن، مصطفى. «حول الأبعاد السوسيو أنثروبولوجية للمسألة اللغوية وإشكالية التنمية والحداثة»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 214، ص53.
المرسلي، عبد الحميد. «من الشخصانية إلى الغدية». عدد 3. فاس: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، ص51.
الواعي، توفيق. **معالم على الطريق (1)**. مرجع سابق، ص37.
المهاجر، جعفر. «موضوع الغزو الصليبي بوصفه قطعاً حضارياً»، **مجلة المنعطف**. عدد 84، 85، ص16.
يوسف، يوسف إبراهيم. **إنفاق العفو في الإسلام**، مرجع سابق، ص11. =

الاحتلال والاستعمار، مثل الفراغ الثقافي والاستلاب الفكري الناتج عن الاستلاب اللغوي[1]. ولا تتمثل خطورة الاستعمار في كونه انسياحاً حضارياً أو رغبة في توسيع رقعة الحضارة وتعميم إشعاعها فقط، بل في استغلاله كذلك للبلاد المستعمرة لصالح الإنسان والقارة الأوروبيين، واستلابه لكل مقومات الحضارة لدى الشعوب المستعمرة، وكبته لكل تطلع حضاري[2]، وقيامه على أسس من «الحضارة العسكرية» التي تقوم على القوة، بل إنه قمّتها[3]، ولذلك فالاستعمار والتخلف قرينان[4].

لقد استطاع الاستعمار إحداث شروخ عميقة في الجسد الاجتماعي العربي؛ ومن مظاهر ذلك القطيعة الهائلة بين النخبة والشعب، حيث صار المجتمع بمثابة مجتمعين تحت سقف واحد، وانعكس هذا الأمر سلباً على الأداء الحضاري للمجتمع[5]. وبعد أن خرج «الاستعمار التقليدي» من الباب الأمامي «عاد من النافذة ليعمل على تكريس وتنمية التخلف، من خلال وسائل الكولونيالية الجديدة، التي عمّقت مبدأ التبادل اللامتكافئ، والتوزيع الدولي غير العادل للعمل، وتكريس الغزو الثقافي للمركزية الأوروبية، وإنشاء المؤسسات المصرفية الدولية التي أوقعت تلك البلدان في حبال المديونية العالمية، مما عمل وبفاعلية على إحباط المجهودات الإنمائية لتحقيق التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي، وعلى تشويه القيم، والتغريب»[6]. وهنا، يرد التحذير من «الاستعمار الفكري» الذي يشكّل خطراً أكبر

= الحسيني، حاتم. «هل ماتت القومية والوحدة العربية؟»، **جريدة القدس العربي**، عدد 1226 (الاثنين 26/ 4/ 1993م) ص قبل الأخيرة، عمود 2.
عبد المنعم، أحمد فارس. «الاستعمار والتبعية وأزمة التنمية في الوطن العربي»، **مجلة شؤون عربية**. عدد 69، ص223 ـ 231.
بنيس، محمد. **الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها** (مساءلة الحداثة 4) ص122.
الودغيري، عبد العلي. **في الثقافة والهوية**. ص66.

(1) غلاب، عبد الكريم. **من اللغة إلى الفكر**. ص109 ـ 110.
(2) المرجع السابق، ص144 ـ 145.
(3) المرجع السابق، ص205.
(4) المرجع السابق، ص180.
(5) جمعية البديل الحضاري. **البديل الحضاري**. منشورات البديل الحضاري (1)، ص60.
(6) البصام، دارم. ندوة: «حرب الخليج ومستقبل العرب»، موضوع: «أزمة الخليج: قراءة أولية للعوامل الداخلية والخارجية»، ص73.

obeikandi.com

على التنمية من «الاستعمار السياسي»[1]. كما يوجد كلام عن «الاستعمار الجديد»، والذي «له صورتان: الصورة الأولى هي «الإمبريالية» أو الاستعمار الاقتصادي الذي يهدف إلى ربط عجلة الاقتصاد الوطني للبلد المستعمر سابقاً، بالدولة الاستعمارية التي كانت تحتل أرضه [...]. أما الصورة الثانية للاستعمار الجديد، فهي الاستعمار الثقافي أو الغزو الثقافي [...]. إن هذا النوع من الاستعمار الجديد هو أخطر أنواع الاستعمار على الإطلاق؛ لأنه يهدف إلى تدمير الإنسان من الداخل، وإلى القضاء على الشخصية الثقافية والروحية للشعوب بهدف إلحاقها ثقافياً وروحياً وفكرياً بالبلد المستعمر سابقاً، وبالتالي جعلها تابعاً ذليلاً يقلّد مثل اللبغاء[2]»[3].

على الرغم من أن الاستعمار سعى لتدمير ثقافة الأمة العربية وإبراز ثقافته كثقافة عالمية يقاس بها التحضر والتقدم، لكن ذلك ولّد ردة فعل إيجابية لدى العرب، تمثلت في العمل على إحياء الثقافة الوطنية تأكيداً للهوية وحفاظاً على الشخصية، واللجوء للتراث وتوظيفه في الكفاح ضد المستعمر لإقامة التوازن الذاتي اللازم للصمود[4]. كما أسهمت الصدمة الاستعمارية الغربية في يقظة الأمة ووعيها بالانحطاط الذي تعيشه، ودفعها بالتالي للبحث عن السبل الكفيلة بتحقيق نهضتها الحضارية من جديد[5]. فصراع الأمة مع الاستعمار (أو الخارج) ليس صراعاً قومياً أو شوفينياً، بل هو صراع من أجل تأكيد حق الأمة في النهوض والتقدم[6].

الخلاصة: يتفق المفكرون العرب على الأثر السلبي الذي أحدثه «الاستعمار» (الغربي بالأساس) على تقدم ونهضة الأمة العربية وبناء حضارتها، وأنه مساهم دائم (بأشكاله الجديدة والمتنوعة) في إبقاء تخلف الأمة وتبعيتها له. وهذا الاستعمار ما

---

(1) ابن عبد الله، عبد العزيز. دورة: «المعرفة والتكنولوجيا»، موضوع: «أسباب ضعف أو انهيار الطاقات العلمية والتكنولوجية في العالم الثالث»، ص78 ـ 79.

(2) هكذا وردت الكلمة في الأصل، وأظن الأفضل أن تكون الكلمة هي: (الببغاء).

(3) عمامرة، تركي رابح. «أخطار الغزو الثقافي والفكري على الشباب المسلم»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 6594 (الثلاثاء 17/ 12/ 1996م) ص10، عمود 3.

(4) الجباعي، يوسف. **ثقافة الطفل العربي**، موضوع: «إشكالية الأصالة والهوية»، ص131.

(5) الطرابلسي، عبد القادر. «التصنيع العربي والمفهوم التغريبي للتنمية»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 161، ص67.

(6) كيله، سلامة. «محددات أولية حول طبيعة القضية القومية، **مجلة الوحدة**. عدد 73، ص160 ـ 161.

obeikandl.com

زال مستمراً، بل وتعددت صوره وأشكاله، ولذلك يوجد كلام عن «الاستعمار الجديد».

سادساً: الصهيونية بين الارتباط الغربي والأثر الحضاري على العرب

الاعتقاد السائد لدى المفكرين العرب أن الاستعمار (الغربي) هو الذي أوجد «الكيان الإسرائيلي» في فلسطين لأجل تكريس التجزئة العربية، ومنع الوحدة العربية بالقوة، وتثبيت الغزو الحضاري التغريبي والتوسّع فيه، وإبعاد الإسلام ومحاربته، وإحكام السيطرة على الأمة من خلال الاقتصاد التابع غير القادر على النهوض بها أو إنماءها[1]. وهنا، تظهر أهمية الدعوة إلى التوجه لتحرير فلسطين كشرط أساسي لتحقيق الوحدة الشاملة للأمة بما يؤدي إلى النهضة المنشودة[2]. ولا بدّ للمشروع النهضوي العربي أن يضع مواجهة إشكالية الكيان الصهيوني في مقدمة برامجه[3].

إن «المشروع الصهيوني» جزء من مشروع «الحداثة الأوروبية»، والعلاقة بين المشروعين علاقة مزدوجة ومتناقضة في نفس الوقت، كما أن المشروع الصهيوني خصم صريح ومعلن للمشروع النهضوي العربي[4]. والتطورات التي حصلت، وما تزال تحصل، والتي ستحصل على أرض فلسطين هي عنصر أساسي ومهم في مستقبل النهضة العربية[5]. فالعلاقة تلازمية بين سيادة الغرب وحضارته في المنطقة، وبين وجود إسرائيل كدولة قوية لها قدرات إيقاع هزائم ونكسات بمن جاورها من دول عربية وإسلامية. وأرض «فلسطين» هي الساحة المرشّحة للمواجهة الحضارية القادمة مع الغرب، وستشهد أرضها «الغلبة والانتصار» للأمة، وسقوط واجهات الغرب الحضارية في الشرق، بما يُؤذن ببدايات التمكين الحضاري للأمة[6].

---

(1) شفيق، منير. **الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر**. ص101 ـ 104، ص158.

(2) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. ص192.

الحناشي، عبد اللطيف. «موقف الأوساط العمالية في تونس من الوحدة»، (مثال: قابس: عمال الصناعات الكيميائية المغربية ICM) **مجلة المستقبل العربي**. عدد 160 (6/ 1992م) ص58 ـ 59.

(3) شفيق، منير. **في نظريات التغيير**. ص138.

(4) الجابري، محمد عابد. **المشروع النهضوي العربي**. ص29 ـ 38.

(5) المرجع السابق، ص188.

(6) ابن يوسف، أحمد. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «فلسطين ساحة المواجهة الحضارية»، ص290.

وعلى الرغم من أن صراع الأمة مع «الكيان الإسرائيلي» وأبنائه هو صراع حضاري يتعدى الجانب السياسي والاقتصادي إلى الجوانب الثقافية والعقائدية والنفسية والأخلاقية والسلوكية[1]؛ فإن وجود هذا الكيان ليس سلباً محضاً، في رأي البعض، بل له فوائد؛ إذ إن «وجود إسرائيل قوية في المنطقة... تأتي بالمهاجرين «لفيفاً» وتتوسع على حساب الأرض الفلسطينية والعربية [...]، تطال بلداناً ودولاً عربية وإسلامية، سيظل يدفع بشعوب المنطقة وتنظيماتها الحركية (الإسلامية والوطنية) للتحريض في اتجاه الخروج من وضعية الذل والقصعيّة[2] وحال الاستنعاج[3] والتبعية، وسيتعاظم من انفعالها المحرك للفعل، للتعامل بشكل أفضل مع مقومات النهوض والمواجهة»[4]. ولا أظنني أستطيع تأييد هذا الرأي، ذلك أن وجود الكيان الصهيوني هو في حدّ ذاته عامل إعاقة لنهوض الأمة وإذلال لها، وليس بالضرورة كي تنهض أمة ما أن تخضع لحالة احتلال مهينة كهذه. بل إن وجود هذا الكيان إنما كان بسبب حالة التردي العربية، ولن يسمح هذا الكيان للأمة بتجاوز تخلفها لأنه يعلم أن زواله يكون بزوال أسباب هذا التردي، مما يعني أنه سيعمل بشكل دائم على إبقاء الأمة في وضعيتها المتردية، بكافة الوسائل والأساليب.

إن المشروع الصهيوني هو أهم تحدّ يواجهه المشروع النهضوي العربي حالياً؛ لأنه مشروع لا تحدّه حدود، ويسعى للتوسع والاستيطان والسيطرة عن طريق الإرهاب والقوة، ويعمل على تدمير كل ما له علاقة بالحضارة والأخلاق والأديان؛ ويلتقي المشروع الصهيوني مع المشروع الغربي على منع نهوض الأمة ووحدتها[5].

---

(1) ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، ص321.

(2) هكذا وردت الكلمة في الأصل، وقد جاءت من كلمة (القصعة)، التي وردت في الحديث الشريف: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» (رواه أبو داود)، والمقصود بها: حال الهزيمة والانكسار الذي تعانيه الأمة اليوم.

(3) هكذا وردت الكلمة في الأصل، وقد جاءت من كلمة (النعجة) ذلك الحيوان الضعيف، فكأن حال الأمة كحال تلك النعجة الضعيفة.

(4) ابن يوسف، أحمد. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «فلسطين ساحة المواجهة الحضارية»، ص297.

(5) حسن، صلاح. «مركزية القضية الفلسطينية في صراع الحضارات: النظام الدولي الجديد مقدمة لإقامة إسرائيل الكبرى». مرجع سابق. ص392 ـ 396.

obeikandi.com

فالمشروع الغربي ـ الصهيوني هو مشروع نقيض للمشروع الحضاري العربي[1]. لذا، لا بدّ للمشروع الحضاري العربي أن يولي فلسطين أهمية زائدة في مشروعه؛ لأن أرض فلسطين ـ بإدراك أصحاب المشروع الغربي الصهيوني ـ ستكون ساحة لمعركة قادمة شاملة، ضدّ المشروع الغربي الصليبي، ذي القدرات المادية الهائلة، بما يمثّل من تحد غربي سياسي وثقافي للأمة وحضارتها. وللانتصار في هذا الصراع الحضاري، لا بدّ من كسر شوكة الغرب، واقتلاع قاعدته المركزية ألا وهو الكيان الصهيوني، وكلّ ضربة توجّه ضدّ هذا الكيان هي بمثابة ضربة في الصميم لأشكال هيمنة المشروع الغربي الثلاثة على الأمة ألا وهي التغريب والتجزئة والتبعية[2]. ولعلّ ذلك هو ما جعل «المسألة الفلسطينية» بؤرة مركزية في كل مشروع تحرري عربي[3].

إن إسرائيل أو «الكيان الصهيوني» والمشروع الذي يمثّله أعداء للتقدم العربي[4]، وذراع غربي (أمريكي بالأساس) يقوم بدور ناسف لأي أمل في بلورة المشروع الحضاري العربي، وبالتالي ضد وحدة العرب وتحررهم وتقدمهم، حتى

---

(1) ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، ص410.

(2) المرجع السابق، ص397 ـ 404.

أومليل، علي. «رهان المستقبل»، **جريدة القدس العربي**، عدد 494 (الاثنين 3/ 12/ 1990م) ص11، عمود 1 ـ 3.

المنجرة، المهدي. **الحرب الحضارية الأولى**. ص46، ص68.

(3) عبد اللطيف، كمال. **مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر**. ص80.

(4) الهلالي، إبراهيم. **نحو بناء مجتمع متقدم**. ص412.

كيلاني، هيثم. «صراع الوحدة والتجزئة في الوطن العربي»، موضوع: «تقييم التجارب الوحدوية السابقة»، ص119.

الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة**، ص74.

جمعية البديل الحضاري. **البديل الحضاري**. منشورات البديل الحضاري (1)، ص58.

حمودة، معالي عبد الحميد. «الكيان الصهيوني واغتيال علماء الأمة»، **مجلة رسالة الجهاد**. عدد 103، ص54.

حسان، حسان محمد. «دور التربية غير النظامية في تحقيق الأمن القومي العربي»، **مجلة شؤون عربية**. عدد 70، ص42.

أمين، جلال أحمد. «مشروع السوق الشرق أوسطية ومشروع النهضة العربية»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 178، ص52.

لا يقفوا ضد نهبهم لثروات الأمة[1]. وقد استطاعت «الحركة الصهيونية» توظيف المشروع الاستعماري الجديد، ممثلاً في النظام العالمي الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، توظيفاً دقيقاً ومحكماً لمواجهة المشروع الحضاري العربي[2]. فالمعركة مع الصهاينة ليست مجرد معركة على قطعة أرض، بل معركة الحياة والوجود بكل تفاصيلها وأبعادها، ومعركة حضارة ووجود وتاريخ وتراث ومستقبل ومصير[3]. لذا، يرد التحذير من التطبيع مع اليهود، على اعتبار أنه الصورة الأحدث للغزو الفكري المكشوف، ولأنه يقتضي اقتلاع الثوابت الدينية والوطنية، ومحو الذاكرة العربية، وإلغاء المخزون الثقافي والفكري للأمة... إلخ[4].

الخلاصة: يتفق المفكرون العرب على رؤية الارتباط العضوي بين «الصهيونية» وكيانها ومشروعها، وبين «الغرب» ومشروعه الإمبريالي. كما يتفقون على خطورة «الكيان الصهيوني» على التحضر والتقدم والنهضة العربية، وعلى تناقض مشروع هذا الكيان مع المشروع الحضاري العربي؛ لذا يدعون للتخلص من ذلك الكيان لأجل استكمال متطلبات المشروع الحضاري العربي؛ ولذلك تحتل «القضية الفلسطينية» مكاناً محورياً في التفكير النهضوي العربي.

---

(1) العيادي، تيسير. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «الحركة الإسلامية في حلبة الصراع العقائدي والحضاري»، ص376.
علي، حيدر إبراهيم. **أزمة الإسلام السياسي**. ص10.
خليل، جمال. «الصهيونية تحت المظلة الأمريكية»، **مجلة الوحدة**. عدد 81، ص133.
الجمالي، حافظ. «الأوضاع العربية في عيون الإحصاءات»، **مجلة الوحدة**. عدد 93، ص102.
عبد اللطيف، كمال. «المشروع الوحدوي العربي أمام عوائقه الجديدة»، **مجلة الوحدة**. عدد 105، ص73.
عودة، محمد. «الثوابت والمتغيرات في تجربة عبد الناصر»، **جريدة القدس العربي**، عدد 1092 (السبت/ الأحد 14 ـ 15/ 11/ 1992م) ص11، عمود 3.
الركابي، زين العابدين. «التشويه الغربي بإخراج عربي»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 6059 (السبت 1/ 7/ 1995) ص9، عمود 1 ـ 2.

(2) بكير، عبد الله عبد الرحمٰن. «النظام العالمي الجديد: مواجهة بين مشروع صهيوني ومشروع نهضوي عربي (2)»، **جريدة القدس العربي**، عدد 1482 (الأربعاء 23/ 2/ 1994م) ص11، عمود 1.

(3) زهر الدين، صالح. «دور الميزان الديمغرافي وسياسة التهجير في مخطط صهينة فلسطين»، **مجلة الوحدة**. عدد 93، ص59.

(4) السايح، أحمد عبد الرحيم. المقدمة: حسنه، عمر عبيد. **في الغزو الفكري**. ص21 ـ 22.

سابعاً: التفاعل الثقافي مع الحضارات وأثره الحضاري

هنالك نظرة لدى المفكرين العرب ترى أن الحضارات تتفاعل مع بعضها، وينتفع بعضها من بعض، وأن السابقة منها تؤثّر في اللاحقة، وأنه لا مفرّ لأية حضارة من الأخذ والعطاء، فتأخذ ما يتفق مع طبيعة البنيان العقلي والفكري للأمة، وتُعطي ما تجود به نوعيتها ونشاطها الفعال[1]، ذلك أنه لم توجد حضارة أبدعت ولم تنقل، فالنقل ليس وباء وإنما غذاء، وليس عاراً بل فخاراً؛ والاستعارات الثقافية والتأثيرات الحضارية المتبادلة بين الأمم والشعوب هي ظاهرة صحية طبيعية وسليمة لا خطر ولا خوف منها؛ لأن في كل الحضارات ما هو مشترك إنساني عام، وكان اللقاء والتفاعل الحضاري بين الحضارات العريقة إنما يتم وفق هذا المشترك. فالتقاء الحضارات قدر لا سبيل لمغالبته، لكن يجب أن يتم وفق قانون ضابط هو التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام وبين ما هو خصوصية حضارية، وعرض ذلك المشترك على مقاييس الحضارة الناقلة لفرز ما يُقبل منه أو يُرفض إذا تناقض مع الهوية الحضارية[2]، إذ كلما استلهمت الحضارات «ما هو مشترك إنساني عام» وازدادت فرص الالتقاء والتفاعل بين الحضارات، كلما تقدمت الحضارات واستفادت وازدهرت، وازدادت فرص نموها وتطورها.

فالنمو الحضاري يعتمد على التجارب الحضارية الأخرى، وأصبح في حكم المؤكد عدم وجود حضارة قامت بذاتها مستغنية عن غيرها؛ أما حين تنغلق وتنعزل حضارياً فإنها تتخلف وتقتل كل إبداع لديها[3]. فالاستفادة من التجارب التاريخية للأمم المتقدمة حضارياً في الوقت الحاضر أمر مفيد في عملية إعادة بناء الذات، إضافة إلى التجربة الحضارية الذاتية[4]، لكن لا بدّ من وجود ضوابط ومعايير في التعامل مع الفكر والثقافة العالمية المعاصرة، وينبغي أن يكون معيار الاختيار في الثقافة المعاصرة، وفي الثقافات الماضية كذلك، هو التمييز بين ما يخدم التقدم

---

(1) السايح، أحمد عبد الرحيم. **في الغزو الفكري**. ص114 ـ 116.

(2) المرجع السابق، ص122 ـ 125.

(3) المرجع السابق، ص128 ـ 131.
لنفس المفكر. «الإسلام والحضارة»، **مجلة الإنسان**. عدد 13، ص74 ـ 77.

(4) الجابري، محمد عابد. **وجهة نظر**. ص42 ـ 45.

obeikandi.com

والتطور وبين ما يخدم الواقع الاستغلالي والهيمنة الإمبريالية أو القومية العرقية[1].

الانفتاح على ثقافات وحضارات وتراث وفكر الحضارات العريقة المختلفة في العالم، أمر ضروري ومفيد للنهضة العربية[2]. والانفتاح المطلوب هو «الانفتاح الحقيقي» الذي هو عملية تفاعل مع «الآخر» أخذاً وعطاء، لا أخذاً فقط، ويتضمن العمل على تبيئة ما يتم أخذه عن الآخر؛ لأن الإبداع من خلال أخذ ما عند الآخر وإبقائه على حاله أمر مستحيل[3]. كما أن التفاعل بين الحضارات أمر طبيعي[4]، بل سُنَّة من سنن الله في الكون[5]، شريطة احترام الخصوصيات الحضارية لكل حضارة؛ فهذا الاحترام سيعمل على إخصاب التفاعل الحضاري وسيسهم في تقدم البشرية[6]. وينبغي التنبيه إلى أمر مهم هو أن «تعدّد الحضارات واختلاف منطلقاتها، لا يعني التناقض والتصادم، وإنما يعني التكافل والتكامل في إثراء مسيرة الإنسان وتطوير فكره وإغناء تجربته [. . .]. والحضارة الجديرة بالاحترام، هي تلك الحضارة التي تنمّي في الإنسان إنسانيته وتغذّي فيه قيم التعايش والتساكن. .

---

(1) الجابري، محمد عابد. **التراث والحداثة**. ص40.

(2) المسيري، عبد الوهاب. **إشكالية التحيز**، موضوع: «فقه التحيز»، ج1، ص90 ـ 92.
الموصلي، حامد إبراهيم. «تأملات عن التكنولوجيا والتنمية من منظور حضاري»، ص778.

(3) المسيري، عبد الوهاب. «هاتان تفاحتان حمراوان: دراسة في التحيز وعلاقة الدال بالمدلول»، ص185.
الموصلي، حامد إبراهيم. «تأملات عن التكنولوجيا والتنمية من منظور حضاري»، ص791.

(4) حرب، علي. **أوهام النخبة**. ص45 ـ 46.
عارف، نصر محمد. **الحضارة ـ الثقافة ـ المدنية** (دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم) ص61 ـ 62.
الجسر، باسم. «نحو توازنات ونزاعات عالمية مختلفة» (العصر الإعلامي والتكنولوجي الجديد 1 ـ 2)، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5611 (السبت 9/ 4/ 1994م) ص8، عمود 2 ـ 3.
الأعرجي، علاء. «وسائط الاتصال وأثرها في الصراع الحضاري»، **جريدة القدس العربي**، عدد 2359 (السبت/ الأحد 7 ـ 8/ 12/ 1996م) ص14، عمود 3.

(5) العلواني، طه جابر. ملخص بحث «الأبعاد المعرفية لحوار الحضارات» (مقدم إلى مؤتمر المجمع الملكي لبحوث الحضارة لعام 1995م) ص5 ـ 6.
ملكاوي، فتحي. «الخطاب الإسلامي الحضاري. . . ملامح ومكونات»، عدد 12، ص19.

(6) النبهان، محمد فاروق. «أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية»، الدورة العاشرة لمؤتمر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ص6 ـ 7.

obeikandl.com

في سبيل إعمار الأرض وإسعاد الإنسان»[1].

إن الدخول في حوار عميق مع الثقافات العالمية كلها هو أمر ضروري للأمة كي تستطيع الانتقال للعصر الحضاري الثقافي الإسلامي الخاص بها، والذي يُعدّل من عرج الثقافة الغربية الحديثة[2]. وينبغي الانتباه إلى أن زوال الحضارة، أية حضارة، إنما يكون بمنازعة حضارة أخرى لها، شريطة أن تكون الحضارة الأخيرة أصلح من الأولى لقيادة العواطف والميول[3]. وهنالك من يذهب إلى حدّ اعتبار الحوار الحضاري مع الآخر من الفروض الشرعية الكفائية، وأن ذلك مسؤولية جميع الأمة[4]، فالقرآن الكريم طلب من الأمة الانطلاق باتجاه الثقافات والحضارات الأخرى والتعرف عليها[5]. فمن الضروري، إذن، الاستفادة من الحضارات الأخرى، و«تجربة اليابان التحديثية والإصلاحية» خير شاهد على فائدة الاستفادة تلك[6]، إذ قامت بعقد مصالحة بين مقتضيات التحديث وإيجابيات التراث ابتغاء تغيير المجتمع، فاستفادت من الحضارة الغربية دون إغفالها لتراثها، فكان ذلك من أسباب نهوضها الحضاري[7]. كما أن من الضروري جعل ما هو مفيد في الحضارات الأخرى تراثاً للأجيال القادمة.

وهناك رأي يرى أن تحدي الحضارات لبعضها يساعدها على الازدهار الحضاري[8]، ونمو الحضارات إنما يتم من خلال «التلاقح الثقافي» أخذاً وعطاء، شريطة توافر مناخ من الحرية يُعين على عملية الهضم الحضاري المستمر[9]. و«عملية التثاقف» أو «التلاقح الثقافي» عبارة عن عملية إخصاب قائم على التفاعل المتبادل الإيجابي بين طرفين نشيطين، وهذا ما يحدث بين حضارتين أو أكثر يتوفر لكل منهما شروط العطاء والتجديد، أو يكون بقيام حضارة صاعدة بالأخذ عن

---

(1) المرجع السابق، ص12.
(2) فتاح، حميد. **الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة تحدياته**. مرجع سابق، ص30.
(3) المرجع السابق، ص363.
(4) القديدي، أحمد. **الإسلام وصراع الحضارات**. مرجع سابق، ص26.
(5) الغزالي، محمد. **كيف نتعامل مع القرآن**. مرجع سابق، ص221.
(6) جلال، شوقي. **التراث والتاريخ**. مرجع سابق، ص6 ـ 8.
(7) المرجع السابق، ص169 ـ 203.
(8) المرجع السابق، ص147.
(9) المرجع السابق، ص208.

حضارة أخرى آفلة أو آيلة للسقوط. وهذا التلاقح يستلزم توفر شروط أساسية، أهمها أن تكون الثقافة الاجتماعية ثقافة مواجهة وتحدّ، وأن تملك هذه الثقافة تصوراً تاريخياً عن نفسها، وتصوراً للعالم من حولها، ورؤية مستقبلية تعبئ جهودها، وأن تؤمن بأن النشاط والثراء الثقافيين لا يتوفران إلا لشعب منتج[1].

«المثاقفة» تعني عملية التفاعل والتداخل والتأثير والتأثر التي تحدث بين نمطين ثقافيين أو أكثر في لحظات تاريخية محددة ومختلفة، وفي مجالات متعددة، وعلى مستويات عديدة كمستوى القيم والتصورات والسلوك، ومنها المكتوب والمقروء. لكن يجب الانتباه إلى أن لتلك العملية محاذير، أهمها أن عدم التكافؤ بين الثقافات يؤدي لهيمنة الثقافة القوية على الضعيفة والسيطرة عليها، وبالتالي الوقوع في التبعية الثقافية. ويمكن الاستفادة من عملية المثاقفة في تحقيق التقدم، من خلال ترجمة وتعريب جميع الثقافات؛ لأن للغة أهمية قصوى في الدفع والتأثر الحضاري[2]. فالمثاقفة المقبولة لدى العديد من المفكرين هي التي تقوم على أساس من الثقة والاقتدار، بأوسع صيغها وأعمقها وأشملها، دون الانجرار إلى التقوقع أو التبعية من أي نوع، لا سيما «التبعية الثقافية»[3]. ولا بدّ من شدّ أزر هذه المثاقفة بالحرية؛ لأن حرية العقل وتحريره الضمان للصمود في وجه الاستلاب[4].

كما أن الحوار مطلوب في عملية التلاقح المعرفي والتمازج الحضاري، إذ «عن طريق الحوار، سواء في شكله العلمي الذي يتخذ طريق التأليف والنقد أو في شكله التواصلي الذي يتخذ شكل الاحتكاك المباشر، أو عن طريق المؤتمرات والندوات والملتقيات الدولية التي تعقدها الجامعات والمعاهد ومختلف الهيئات. . .، عن طريق هذا الحوار بكل أشكاله، تنصهر الحضارات بعضها في بعض، ويقع التأثير والتأثر، والأخذ والعطاء، ويتحقق التفاعل بين مكتسبات

---

(1) المرجع السابق، ص270 ـ 273.

(2) دوخة، محمد. «التعريب، الترجمة، وإشكالية المثاقفة»، **مجلة الوحدة**. عدد 72، ص195 ـ 199.

(3) عرسان، علي عقلة. «ميثاق للمثقفين العرب»، **مجلة الآداب**. عدد 1، السنة 41، ص42 ـ 43.

(4) إخلاصي، وليد. **أزمة الفكر العربي**. مرجع سابق، ص78 ـ 79.

الشعوب، الفكرية والعلمية، وحتى الأخلاقية والسلوكية»[1].

يشير بعض المفكرين إلى نوعين من «التفاعل الحضاري»: أحدهما مدمر، والآخر مفيد. ويكون التفاعل الحضاري المدمر بدخول حضارة ما إلى حضارة أخرى بقصد ضرب العوامل الأساسية فيها، ويؤدي إلى تغيير جوهري في النمط الحضاري بأسره، فهذا ليس إغناءاً أو إخصاباً، بل اجتياحاً وانتقالاً من سكة إلى أخرى. أما التفاعل المفيد فيتمثل بإبقاء الحضارة الداخلة على الحضارة الأخرى للعوامل المكونة لها على ترتيبها الأساسي من جهة الأولويات والأدوار، ومن ثم تتفاعل معها، لا أن تكون مسيطرة عليها، وهنا يأخذ هذا التفاعل سمة الإخصاب والاغتناء؛ لأنه لا ينتقل بالحضارة من سكة إلى أخرى، وإنما يدفع بالقاطرة بقوة أكبر باتجاه سكتها[2]. من هنا، فحلّ إشكالية العالمية والخصوصية الحضارية مع الحضارات هو الخلاص للأمة من تخلفها وتحقيقها لنهضتها الشاملة[3]. كما أن الرفض والنفي والقطيعة مع الحضارات الأخرى (وبالذات الحضارة الغربية) غير ذي جدوى، ذلك أن الحضارة العربية لا تُبنى إلا على الإبداع والنهوض وإثبات الندّية لحضارة الآخر[4]. لذا، فمن متطلبات النهضة تنشيط «عملية الترجمة عن الآخر»، خاصة في العلوم الطبيعية والرياضية[5]. ويمكن وضع معادلة مبسّطة للتعامل مع «إشكالية الغزو الحضاري»، انطلاقاً من التجربة اليابانية، تتمثل في مقاومة كل ما هو غزو وهيمنة واستلاب، وأخذ كل ما هو قوة وتجديد وتقدم حقيقي، بعد عرضه على المعيار العربي والإسلامي الحاكم، الذي هو المحك والغربال لما يُأخذ وما يُترك، كما فعل الأسلاف من قبل عندما أقاموا حضارتهم المتميزة[6].

---

(1) أمزيان، محمد. «حول حوار الشرق والغرب»، **مجلة المنعطف**. عدد مزدوج 3، 4، ص1.

(2) شفيق، منير. **الإسلام في معركة الحضارة**. مرجع سابق، ص32.

(3) شفيق، منير. **قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري**. مرجع سابق، ص83.

(4) عبد الله، إسماعيل صبري. «نحو نهضة عربية ثانية: الضرورة والمتطلبات»، **مجلة المستقبل العربي**. عدد 161، ص4.

(5) المرجع السابق، ص8 ـ 9.
فاخوري، محمد. **أزمة الفكر العربي**. مرجع سابق، ص33.
صالح، هاشم. «نحو تحرير الروح العربية ـ الإسلامية من عقالها»، **مجلة الوحدة**. عدد عدد 100، ص190.

(6) الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة**. مرجع سابق، ص309 ـ 310. =

على الرغم من اعتقاد البعض بأهمية الانفتاح على الحضارات الأخرى[1]، إلا أنهم يحذّرون من مخاطر الانفتاح على النظام العالمي الجديد، ذلك أنه نظام جاء لحماية مصالح الولايات المتحدة وحلفائها فقط[2]، ولأنه أعدّ ثلاث خطط دقيقة وخطرة على الأمة العربية، هي: سياسة التجزئة ومحاربة الوحدة، وسياسة الاستقرار ومحاربة التغيير، وسياسة التوسع الحضاري وتحقيق الهيمنة اللغوية والحضارية والفكرية للحضارة المسيحية ـ اليهودية ضدّ كل الثقافات والحضارات الأخرى[3]. كما يرد التحذير من «المساعدة الفنية والتعاون الدولي»؛ إذ ما من شيء أخّر الأمة مثلما أخّرها ذلك، فقد كانت تلك المساعدة عبارة عن مؤامرة يتم من خلالها إرسال أناس من الغرب ليتمتعوا بالبلدان العربية، عوض أن تُستثمر الأموال المصروفة عليهم في مجالات أساسية، كمحاربة الأمية والبحث العلمي والتنمية الحقيقية[4]. ولا تمثّل «المساعدات الغربية» في الواقع إلا ثمناً لقبول الأمة العربية بالتبعية للغرب، بكل أنواع التبعية، السياسية والاقتصادية وغيرها[5].

يبدو أن إجماع المفكرين العرب منعقد على أهمية وضرورة «الانفتاح على الآخرين» وثقافاتهم وحضاراتهم لصالح البناء الحضاري[6]؛ سواء كان بأمر القرآن

= ضاهر، مسعود. «العرب واليابان: أضواء على تجربة التحديث اليابانية»، **مجلة الوحدة**. عدد 85، ص107.

(1) المنجرة، المهدي. **حوار التواصل**. مرجع سابق، ص82.

(2) الحسيني، محمد تاج الدين. «النظام الدولي الجديد بين الوهم والواقع»، **مجلة الوحدة**. عدد 90، ص74.

الفيلالي، مصطفى. ندوة: «حرب الخليج ومستقبل العرب»، موضوع: «حرب الخليج تمهيد للنظام الإقليمي العربي الجديد»، ص93 ـ 94.

(3) المنجرة، المهدي. **الحرب الحضارية الأولى**. مرجع سابق، ص73 ـ 74.

(4) المرجع السابق، ص102.

(5) البدوي، عبد الجليل. ندوة: «حرب الخليج ومستقبل العرب»، موضوع: «حرب الخليج وبداية الحل الدامي لأزمة الاقتصاد الرأسمالي العالمي»، ص42.

(6) ملكاوي، ثابت. **إشكالية العقل العربي بين الذات والآخر**. مرجع سابق، ص49 ـ 51.

عصفور، جابر. **هوامش على دفتر التنوير**، مرجع سابق، ص259.

غلاب، عبد الكريم. **من اللغة إلى الفكر**. مرجع سابق، ص191.

غليون، برهان. «التنمية الثقافية العربية بين التبعية والانغلاق»، **مجلة الوحدة**. عدد 92، ص15 ـ 16.

=

الكريم نفسه[1]، أو بداعي المصلحة الذي تطلّبته ضرورة الدخول في مرحلة «الحوار الحضاري» مع «حضارة الآخر» (الغربي أساساً)، لوجود روابط مشتركة بين الحضارات، وبما يُمكّن من تحليل حضارة الآخر واستيعابها، بل وتقويمها وتنقيتها[2]، وبالتالي الاستفادة من التجارب الحضارية للأمم الأخرى التي سبقت الأمة العربية في مجالات التقدم، شريطة جعل الدين وتعاليمه والموروث الحضاري الفكري هو المعيار الحاكم على هذه الاستفادة[3]. فلا تتمّ عملية التفاعل بين الحضارات بالانسلاخ عن الذات وفرض شيء من الخارج عليها (وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه العرب)، بل بالإخصاب الذاتي لكل حضارة[4]؛ كما أن الحفاظ على الذاتية والأصالة لا يعني الانغلاق وعدم الانفتاح، بل إنه الدافع للانفتاح على العالم انفتاحاً واعياً ومنتجاً[5]. ولذلك، يُنظر للاقتباس الحضاري من موقعين: فـ«الاقتباس الحضاري من موقع القوة، لا ضرر منه. أما الاقتباس من موقع الضعف، فهو غزو لبنية اجتماعية واهنة، بقصد تفكيكها، وإعادة تركيبها، وفقاً للنموذج الأرقى»[6]. فبعد الحصول على الحرية في الاختيار والوعي والحركة، يمكن «الانفتاح وتوظيف عناصر حضارية أجنبية، في الفضاء العربي ـ الإسلامي، وفي أساليبه التنظيمية وفي بنائه القيمي. وليس المقصود هو رفض الاستعانة

= الميلاد، زكي. «مقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر»، **مجلة الكلمة**. عدد 7، ص21.

صالح، أحمد عباس. «مقومات المشروع القومي»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5785 (الجمعة 30/ 9/ 1994م) ص9، عمود 1 ـ 2.

(1) الغزالي، محمد. **كيف نتعامل مع القرآن**. مرجع سابق، ص215.

(2) عبد الحميد. محسن. **تجديد الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص188 ـ 192.

(3) الهلالي، إبراهيم. **نحو بناء مجتمع متقدم**. مرجع سابق، ص319، 403.

ابن المقدم، محمد. «مفهوم الجهاد عند أسرة الجماعة»، **مجلة الاجتهاد**، عدد 20، ص148.

خشيم، علي فهمي. «المستقبل ينبثق من الماضي»، **مجلة الوحدة**. عدد 105، ص66 ـ 67.

الجابري، محيي الدين. «لمحة في واقع النقد الأدبي العربي»، **مجلة التوحيد**. عدد 67، ص186.

(4) قربال، نور الدين. **إشكالية الديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر**. ص41.

(5) الغنوشي، راشد. المقدمة: العثماني، سعد الدين. **المبادئ الأساسية للديمقراطية وأصول الحكم الإسلامي المعاصر**. الدار البيضاء/ المملكة المغربية: دار قرطبة، ط1/ 1994م، ص3.

(6) إسماعيل، فادي. **الخطاب العربي المعاصر**. مرجع سابق، ص103.

بالعناصر والمكونات الغربية، بل المقصود هو استيعابها وفقاً لشروط وأسس البناء النسقي الاجتماعي ـ الحضاري للمجتمع/الأمة، لتقويته ودعمه. أما ما هو غير مقبول، فهو أن تتحول هذه العناصر الغريبة والبُنى والقوى التي تتبناها إلى جذر أو أجسام غريبة قائمة بذاتها، مسيطرة وسائدة سياسياً وثقافياً، وقادرة على إنتاج مجتمعها وحضارتها الأم في بيئتنا الحضارية»[1].

يذكر بعض المفكرين بعض طرق «التلاقح الثقافي»؛ وأهمها طريقتان هما: «الغلبة، وانتقال منجزات حضارية معينة إلى بيئة أخرى خلاف بيئة نشأتها. [...] وسواء تحاورت الثقافات وتلاقحت، بإحدى الطريقتين السابقتين، أو بهما معاً، أو بغيرهما، فإن ذلك لا يعني «مسخ» أحدها أو بعضها لصالح أحدها أو بعضها، أو إلغاء هذه «الهوية» وتلك «الذاتية» لصالح هذه أو تلك من الهويات والذاتيات [...]. والثقافات عموماً، قادرة أيضاً، بعيداً عن الوصاية من أي نوع، على التفرقة بين ما يمكن أن يُهضم ويُتمثل وبين ما هو عابر ومجرد قشرة خارجية»[2]. فلا ينبغي أن يُبنى الموقف من الحضارات الأخرى على الرفض أو التخوف منها أو دوسها ما لم يتم التعرف إلى جوهرها وحقيقتها، لأخذ الصالح منها ونبذ الطالح[3]. ومن الأدوات المساعدة على التواصل والتفاعل والتلاقح والأخذ والعطاء الحضاري بين مختلف الأمم والشعوب والمجتمعات والمدنيات والثقافات: توثيق الفكر العلمي والخبرات العلمية ومجمل تاريخ النشاط العلمي[4].

هنالك اتجاه يدعو إلى «التعاون العربي ـ الإفريقي»، على اعتبار أنه ضرورة لخوض معركة التنمية، ومواجهة تحديات القرن المقبل، والقضاء على التخلف والتبعية العربيين[5]، ذلك أن الخصائص البنائية لكل من الدول العربية والإفريقية

---

(1) المرجع السابق، ص166 ـ 167.

(2) الحمد، تركي. «حديث في حضارة الإنسان (2)»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 6242 (الأحد 31/12/1995م) ص9، عمود 1 ـ 2.

(3) القادري، أبو بكر. «المجتمع الإسلامي في مواجهة التحديات الحضارية الحديثة»، **مجلة الأكاديمية**. عدد 7، ص143.

(4) بو لخماير، مختار. «المنهج التوثيقي في تأريخ العلم العربي الإسلامي»، **مجلة دراسات عربية**. عدد 1، 2، السنة التاسعة والعشرون، ص15.

(5) مطيع، المختار. محور العدد: «العرب وأفريقيا»، موضوع: «تعزيز التعاون العربي الإفريقي =

متشابهة، مثل التخلف، والتجزئة، والتبعية؛ لذلك فالأهداف التي يسعون إليها هي أهداف مشتركة، تتمثل في التحرر، والتنمية، والوحدة[1]، لكن ينبغي الانتباه إلى أن هذا التعاون يلقى معارضة شديدة من الغرب[2].

الخلاصة: يرى المفكرون العرب أن التفاعل الحضاري والثقافي مع الحضارات والثقافات الأخرى هو أمر لا مفرّ منه، كما أنه ضروري للبناء الحضاري العربي. لكنهم يدعون لإيجاد ضوابط تحدّ من انتقال سلبيات تلك الثقافات والحضارات أثناء ذلك التفاعل. كما يوجد تحذير من خطورة «النظام العالمي الجديد» و«المساعدات الغربية» على إبقاء التخلف العربي.

ثامناً: التحدّي والأزمات واليقظة الحضارية

تتجلى أهمية «التحدّي» (بجميع أنواعه: الثقافي، والعسكري، والحضاري) في كونه «يوقظ الحس، ويُلهب المشاعر، ويُذكي الروح، ويُجدّد الشعور بالانتماء، ويدفع إلى الالتزام بعقيدة الأمة، ويجمع الطاقات النفسية والمادية، لنبدأ عملية الإقلاع الحضاري من جديد»[3]. فهو ركيزة للبناء والتجديد والإبداع الحضاري، وخاصية فطرية في الإنسان[4]. لذا، يجب على الأمة مواجهة التحديات الداخلية المتمثلة بضغط الجوانب السلبية من التراث على حياتها، والقيام بعملية تنقية وتصفية له، ومواجهة التحديات الخارجية التي تتمثل في الاستعمار وبقاياه. فهذه التحديات تعترض طريق الأمة للخروج من طور الركود والجمود إلى طور الحركة والمشاركة الفعالة في الحضارة[5]. ودرجة الاستجابة لتلك التحديات هي

= ضرورة حيوية في ظل عالم متغير»، **مجلة الوحدة**. عدد 97 (أكتوبر 1992م) ص23 ـ 24.
كعدان، صباح. «الوضع الراهن للعلاقات العربية ـ الإفريقية في المجال الاقتصادي والمالي»، ص42.

(1) المصري، جورج. «المواجهة العربية ـ الإسرائيلية في إفريقيا». مرجع سابق. ص69.

(2) حمادي، عبد الرحمٰن. «جوانب من التعاون العربي الإفريقي وآفاقه المطلوبة». مرجع سابق. ص49 ـ 53.

(3) فتاح، حميد. **الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة تحدياته**. مرجع سابق، ص4.

(4) جلال، شوقي. **التراث والتاريخ**. مرجع سابق، ص143.

(5) المرجع السابق، ص107 ـ 111.

التي تقرر قدرة الأمة على الخلق والعطاء، والأمة العربية تمتلك من المؤهلات والقدرات، ما يمكنها من مجاوزة التحديات التي تواجهها[1]. ويمكن اعتبار الأزمات الكبرى التي تصيب الأمم محفزات حضارية كذلك، ومن الأمثلة الدالة على ذلك هزيمة اليابان وألمانيا في الحرب العالمية الثانية، إذ وجهت هذه الهزيمة الكبرى إرادة الأمتين إلى النهضة[2]. وقد يكون صحيحاً أن «الآلام العظيمة» هي التي تلد «النهضات العظيمة»[3]، وأن «المعاناة» حافز للإبداع في مختلف المجالات[4]، وأن التغلب على «المصاعب» هو الذي يورث الإبداع الخلّاق[5]. وهنالك كلام عن «الابتلاءات والفتن والمحن» التي تمر بها الأمة، والتي تُعتبر نوعاً من أنواع التحديات الحضارية الضرورية لشحذ الفاعلية الحضارية واستعادة الذات، في حالة ما إذا تمّ أخذ العبرة منها[6].

إن القدرة (أو الردّ الايجابي) على التحدّي هي سمة الشعوب الحية التي تريد تجاوز التخلف، وتحقيق النهضة والتقدم، على حدّ قول المؤرخ الشهير«توينبي» (التحدي للصعاب ولعوامل التخلف)؛ وعدم وجود هذه القدرة سيؤدي بالأمة إلى الذلّ والمسكنة والتخلف الأبدي[7]. فالحضارة إنما تنشأ نتيجة استجابة وجواب الإنسان على التحديات التي تُوجّه له، سواء من الطبيعة، أو من حاجاته هو، أو

---

(1) العمار، منعم. «تحديات الأمن القومي العربي: حوار في المستقبل»، **مجلة شؤون عربية**. عدد 77، ص66 ـ 67.

(2) النجار، عبد المجيد. ندوة: «مستقبل العمل الإسلامي»، موضوع: «النهضة الإسلامية: العوائق والعوامل»، ص446.

(3) الركابي، زين العابدين. «الغضب العظيم. . . في قنواته الصحيحة»، **جريدة الشرق الأوسط**، عدد 5576 (السبت 5/ 3/ 1994م) ص9.

(4) مسرة، أنطوان نصري. ندوة: «الإبداع في المجتمع العربي»، موضوع: «الحروب في لبنان (75 ـ 1990م) كمختبر بحثي في علم الاجتماع العربي والمقارن ـ دراسة حالة في الإبداعية ـ ص120.

(5) ندوة: «الإبداع في المجتمع العربي»، ص123.

(6) السايح، أحمد عبد الرحيم. المقدمة: حسنه، عمر عبيد. **في الغزو الفكري**. ص23 ـ 24.

(7) عبد الدائم، عبد الله. «القومية العربية أمام الأحداث القومية في العالم»، **مجلة شؤون عربية**. عدد 71، ص23 ـ 24.

الأنصاري، محمد جابر. **تجديد النهضة**. ص34.

الخطيب، سليمان. **فلسفة الحضارة**. ص174.

من تحدي الإنسان الآخر أو المجتمع له[1]. لكن هناك من يشير إلى أن التحديات سلاح ذو حدين: فقد توقظ الوعي بضرورة التغيير والحداثة وتجاوز كل أشكال التخلف والاغتراب والعجز، وقد توصل إلى اليأس الذي يؤدي للغيبوبة والانتحار النهضوي بالهروب للماضي والخيال ومخاصمة الواقع[2].

ينبّه البعض إلى أن الأمة تواجه تحديين حضاريين، هما: التخلف الموروث عن عصور التراجع الحضاري، وهيمنة التغريب العلماني[3]. في حين يذكر آخرون سبعة تحديات تواجهها الأمة هي: «تحرير الأرض من الغزو الخارجي، الاستعمار والصهيونية، الحريات العامة ضدّ صنوف القهر والتسلط والطغيان الداخلي، العدالة الاجتماعية في مواجهة هذا التفاوت الضخم بين الأغنياء والفقراء، وحدة الأمة في مواجهة التجزئة والتشتت والتشرذم، التنمية الشاملة في مقابل التخلف الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي، الهوية ضدّ التغريب والتبعية والتقليد، وأخيراً تعبئة الجماهير وحشد قواها وتجنيد طاقاتها في مقابل اللامبالاة والفتور وعدم الإكثرات»[4]. ويعتبر غيرهم أن مواجهة التحدي الحضاري الذي يعترض الأمة إنما يتطلب النجاح في مواجهة مجموعة من التحديات الفرعية: كتعميق التضامن العربي على الصعيدين الشعبي والرسمي، وتبادل الخبرات العربية، واستثمار الأموال العربية عربياً (في الداخل)، وبناء مؤسسات علمية مشتركة، واستغلال الثروات القومية، وبلوغ عتبة التكامل الاقتصادي العربي، وبناء الإنسان العربي، وتحديث وتوحيد مناهج العلم والتربية، والمحافظة على حقوق الإنسان[5].

الخلاصة: يعتقد المفكرون العرب بأن «التحديات والأزمات» وحتى الكوارث التي تواجه الشعوب، ما هي إلا «محفزات حضارية» تدفعها لتجاوزها وللمضي في

---

(1) السايح، أحمد عبد الرحيم. المقدمة: حسنه، عمر عبيد. **في الغزو الفكري**. ص112 ـ 113.

(2) علي، حيدر إبراهيم. «في مفهوم التغيير الحضاري العربي»، **مجلة الوحدة**. عدد 79، 80، ص12 ـ 13.

(3) عمارة، محمد. «المشروع الإسلامي للتغيير ومطاعن العلمانيين عليه»، **مجلة الجامعة الإسلامية**. العدد الثالث، ص47.

(4) حنفي، حسن. **مقدمة في علم الاستغراب**. ص21.

(5) تنيرة، بكر مصباح. «جامعة الدول العربية في ضوء متغيرات النظام العالمي الجديد»، **مجلة شؤون عربية**. عدد 69، ص47.

طريق الحضارة من جديد، شريطة إيجاد حلّ لها كي لا تصبح عامل يأس حضاري. لذلك يطالبون الأمة العربية بالتغلب على التحديات العديدة التي تواجهها كي تستطيع بناء حضارتها من جديد.

obeikandl.com